سادر الكتب

رواية

دائرة

محمد الناصر

موفا

العنوان

ذبذبة

تأليف

محمد النَّاصر

الطبعة

الأولى 2025

تحرير

مريم السنعوسي

ردمك:

978-9921-811-43-8

رقم الإيداع: 2025/2888

تصميم وإخراج

نوڤا بلس للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

www.novapluskw.com

كُن حذرًا مِن النور المنكسر....

فشظاياه لا تُضيء....

بل تقتل.

نصيحة قبل البداية....

لا ترتشف قهوتكَ ساخنة.

ثلاث حقائب تضم ثلاث جثث

الضحايا من صنّاع المحتوى، وشبهة جنائية وراء الجرائم المروعة.

الكويت؛ في واقعة مروعة هزت الشارع الكويتي، عثرت الجهات الأمنية صباح اليوم على ثلاث حقائب سفر كبيرة مرمية على شاطئ الشويخ، وكانت تحتوي على جثث لثلاثة شبان معروفين في الوسط الثقافي.

وبحسب المصادر الأمنية المطلعة، صُرّح بأن بلاغًا قد وردهم من أحد رواد الشاطئ بأنه عثر على ثلاث حقائب مُريبة منتشرة به؛ مما استدعى رجال الأمن للحضور في الموقع فور تلقي البلاغ، وتم تطويق المنطقة وجرى فحصها؛ فتبيّن أن الجثث المحشورة داخل الحقائب كانت عارية -تمامًا- وفي حالة تمثيل مرعبة، ما يُرجّح فرضية التعذيب المتعمد قبل القتل.

وأكدت مصادر موثوقة على أن التحقيقات الأولية لم تتوصل بعد إلى الدافع خلف الجريمة، في حين تنتظر الجهات الرسمية نتائج التحاليل الأولية للبصمات.

الجريمة أثارت صدمة واسعة في الأوساط الأدبية والثقافية، في وقت يترقب فيه الشارع بيانًا رسميًا من وزارة الداخلية لتوضيح ملابسات القضية.

كتبه: محمد حسن

1

في صباح لا يُنسى من الثلث الأخير لشهر نوفمبر عام 2024م، وفي بلد من النادر أن يُخطفَ منكَ الأمان فيه، استيقظت الكويت على وقع نبأ صادم بعثر هدوءها، ولبست يومها سماء السكينة عباءة الخوف والقلق، بعدما انتشرت الأخبار كالعاصفة، التي خلخلت اليقين وأربكت القلوب، لم يعتد أبناء هذا الوطن على مواجهة تلك الفواجع، كانت الجريمة كفيلة بأن تزرع بذور الرعب في أنفسهم؛ لا أحد ينسى أن يحكم إغلاق بابه الآن، ولا أحد ينام دون أن يتخيل أسوأ ما يمكن أن يحدث في كل زاوية من زوايا الليل القادم.

مقتل ثلاثة شبان، والتمثيل بجثثهم بطرق تقشعر لها الأبدان، من الصعب تصديقها كونها غير مألوفة وبشعة في الوقت ذاته، وقعت الحادثة شديدة المرارة على أرواح الجميع، والتساؤلات كانت تتساقط كالمطر على رؤوس الناس، والشائعات أخذت طريقًا سهلًا تدخل به البيوت بلا استئذان، وتزيد من التكهنات وتقلب الذعر الذي أصبح كالجمر يتقاذفونه بين أيديهم، والكل ينتظر خبرًا يقطع حبل القلق الذي بات معلقًا على رقابهم، لا يدرون في أيّة ساعة من الممكن لهذا الجمر أن يحرق منازلهم، التي لم تعد آمنة، والخوف... الخوف كله أن يكونوا هم أو أحد من أفراد أسرهم هو الضحية القادمة لهذا القاتل الذي -لا يزال- حرًا طليقًا يعيث في الأرض فسادًا.

وسائل التواصل الاجتماعي كانت هي النار التي تستعر في الهشيم، تأكل كل شيء؛ أخضر كان أو يابسًا أمامها بلا تردد، وفي الوقت نفسه لا إجابات واضحة أو صريحة من المسؤولين على هذا

العبث كله؛ جثث مقطعة الأطراف، دماء سائلة، الموت يحوم كالنسور الجائعة فوق الرؤوس، والسؤال الأهم: مَن هذا القاتل؟ ولماذا قام بقتل هؤلاء كلهم دون أن يرف له جفن؟

في ذاك الصباح نفسه، كان الأستاذ (مرزوق محمد) يقود سيارته متجهًا نحو رابطة الأدباء، غير مهتم بتلك الأخبار التي تبدو لكَ من الخارج كقطعة خبز ساخنة؛ لتتفاجأ بأنها محشوة بالعفن، وغير ذلك فهو يريد أن يركز في عمله؛ حيث إن ورشته الأدبية في يومها الأخير، ويتمنى أن يختمها بطريقة مميزة كعادته في دوراته السابقة؛ فهو لا يترك أيّة تفصيلة من التفاصيل للصدفة، ويعلم جيدًا أن الجميع ينتظره في القاعة، وبعد أن ينتهي من هذا كله سيطّلع على تلك الأخبار الجديدة.

ورشة: جَمالُ كتابةِ الرِّواية.

للكاتب: مرزوق محمد

دلف لداخل المبنى الكبير، ورأسه مكتظ بالأفكار والطرق التي يسعى بها لتقديم أفضل ما لديه لكل منتسبي دورته؛ لكي يُخرج منها المتدربين بأكبر قدر من الاستفادة.

وما أن فتح باب القاعة حتى التفت الرؤوس ناحيته، ألقى التحية بصوت منخفض، وسط تلك الضوضاء الهادئة مع ابتسامة خافتة، غير مركز نظره على أحد منهم، تراقبه الأعين إلى أن وصل إلى الواجهة متوسطًا المسرح، وضع حقيبته، ومطّ شاربه الخفيفة من أعلى شفتيه في إشارة على ابتسامة خجولة باغتته حينما سمع كلمات غزل خرجت من فم إحدى المتدربات، عيناه الواسعتان كانتا تراقب الجميع، جلس على الكرسي بثقل جسمه الرياضي، ثم دار بوجهه على الجميع، وصمت برهة كأنه يرسل رسالة للجميع بأن: (عليكم الانتباه) سنبدأ بعد دقائق.

هدأت القاعة بحضورها منتظرين أن يُلقي الأستاذ كلمته الأولى، وهم يوجهون نظراتهم له بكل لهفة، إلا أن أحدهم قطع ذلك الصمت بسؤال غريب:

- أستاذ... قبل أن نبدأ لدى سؤال؛ سؤال صغير إن سمحتَ لي بذلك.

أجابه (مرزوق) و-لا تزال- الابتسامة الصغيرة مرتسمة على شفتيه:

- تفضَّل... قُل ما عندكَ.

وقف الشاب محاولًا ترتيب أفكاره، وقال:

- هل أنتَ من المؤمنين بمقولة إن الوصول إلى القمة سهل، ولكن المحافظة عليه صعب؟

صمت (مرزوق) لبرهة؛ لاستجماع أفكاره، وقال:

- جميلٌ سؤالك... لكن دعني أجيبكَ بطريقة غير تقليدية... أولًا أنا لا أؤمن بهذه المقولة جملة وتفصيلًا؛ لأن الوصول للقمة ليس سهلًا كما يُصوَّر لكم البعض؛ بل إنه مُتعِب وصعب.

صمت قليلًا وهو ينظر في أعين الموجودين، ثم قال:

- إن كنتم تعتبروني من الناجحين والواصلين للقمة... فأنا لم أصل إلى القمة بسهولة، ولم يكن طريقي ممهدًا، لقد تعبتُ كثيرًا، هذه التجاعيد كله وهذا البياض الذي حارب وانتصر على لون شعر رأسي الأسود، ما هو إلا ثمن قليل لما وصلتُ إليه، متُ ألف ألف مرة، وحاصرتني الهواجس والأفكار في العديد من الليالي كذئاب جائعة تريد التهام صبري وإصراري، ربما ترون أن الأمور هادئة لهذا الوجه، لكن لا... تأكدوا أنه العكس تمامًا، هناك جروح غير نازفة؛ بل إنها في العديد من المرات كادت أن تتمكن مني.

عاد وسكت قليلًا، وكانت ضربات قلبه تزداد، كأنَّ السائل أعاد إحياء جرح قديم حاول قدر المستطاع تجاهل ألمه وإخفاءه، إلا أن بعض الجروح القديمة تستجيب بسرعة إلى كل من يناديها، وأكمل حديثه قائلًا:

- لقد تبعثرت نفسي في العديد من المرات، ومن ثم أعدتُ ترميمها

ولملمتُ شتاتها، ونهضتُ مرة أخرى... بكيتُ وحدي، لم أرد أن يرى أحدًا ضعفي، مختبئًا في غرفة مظلمة تواسيني دموعي، بعدما وجدتُ العديد من السيوف المسلطة على رأسي، وحولي الكثير من الضباع الجائعة التي تريد الانقضاض على جهدي... ربما تقولون الآن إنني أبالغ... صدقوني ما قلته كله قليل جدًا؛ فهناك العديد من الحوادث التي قتلتني، لدرجة أنني فكرتُ في الانسحاب من هذه المعركة حاملًا الراية البيضاء، وبكل فخر أقولها لكم، كنتُ محاربًا شرسًا صبورًا، فالجميع يعلم أنكَ لن تصبح بطلًا بلا جروح، والكاتب الناجح هو مَن يقاوم تلك العقبات ويتجاوزها... والعديد من المؤلفين قد انسحب بهدوء بعد أول محاولة، وأتمنى ألّا تكونوا منهم.

هذا الطريق خَلقَ لي العديد من الأعداء الذين حاربوني بما يملكونه كله، وبطرق مشروعة وغير مشروعة، ولم يكن السبيل سهلًا أو مفروشًا بالورود... وأنا مؤمن بتلك المقولة، الوصول للقمة صعب وسهل الحفاظ عليه.

عجت الصالة بالتصفيق فور أن انتهى الأستاذ (مرزوق) من حديثه، بينما كان هناك شخص يشق طريقة ناحية المسرح، ومن ثم توجه إلى (مرزوق) وهمس في أذنه قائلًا:

- أعتذر منكَ أستاذي؛ فقد أبلغتني إدارة الجمعية، بأخبار حضرتكَ بأنها تريد إيقاف الدورة اليوم.

رفع (مرزوق) رأسه، ونظر بعدم رضا، وقال:

- من المستحيل أن أوقف الدورة لم يتبقَ إلا ساعتين، وليس لدينا أيّ وقت نظرًا لافتتاح معرض الكتاب الدولي غدًا.

ربت الرجل على كتف الأستاذ، وقال:

- على رسلكَ... بعدما تعرف السبب ستعذرنا.

عقد (مرزوق) حاجبيه، وبعدها أكمل الرجل وقال:

- أعتقد أنك سمعتَ عن نبأ الجريمة التي انتشرت في مواقع التواصل الاجتماعي، وعن مقتل ثلاثة أشخاص، الضحايا كلهم كانوا من زملائكَ المؤلفين.

جحظت عينا (مرزوق) من الصدمة، ثم قال:

- هل أنتَ متأكد مما تقول؟

أجابه بثقة:

- عبدالعزيز وطلال ولؤي، هم الثلاث ضحايا الذين قُتلوا، وأعتقد أنكَ تعرفهم جيدًا.

لم يستطع (مرزوق) تحمّل الخبر، هزّ رأسه بأسى كبير، وقال:

- إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

صمت لثوانٍ يستذكر بعض الذكريات التي جمعته بهؤلاء المؤلفين في فترات سابقة، ثم عاد للواقع، وقال:

- لماذا تريدون مني إيقاف الدورة؟ صحيح أن ما ذكرتَه أمر جَلل، ولكن لا بد من أن أُكمل هذه الورشة، فكما ترى جميع مَن في القاعة متحمسين ويريدون ختامها، ولا أعتقد أنني متهم فيما حصل أو أن أحد الحضور له يد في ذلك.

ردّ عليه الرجل، وقال:

- من ناحيتنا ليس لدينا أيّ مانع أن تُكمل دورتكَ، ولكن هناك تعليمات جاءتنا من وزارة الداخلية طلبت من ذلك؛ حفاظًا على سلامتكَ، والطلب كان حازمًا ولا نقاش فيه.

أخذ (مرزوق) نفسًا عميقًا، وهو يفكر في طريقة مهذبة أو البحث عن فكرة يستطيع من خلالها الاعتذار للجميع، ابتعد ذلك الرجل عن (مرزوق) الذي اعتدل بدوره، ودار بعينيه بوجهٍ ضُبغت ملامحه بشيءٍ من الخجل، وقال:

- بكلّ أسف يا إخواني وأخواتي... أبلغتني إدارة رابطة الأدباء قبل قليل من خلال هذا الرجل المؤدب بتأجيل الدورة ليوم آخر بسبب حدث غير متوقع وخارج عن إرادتي وإرادة المسؤولين.

وما أن انتهى (مرزوق) من كلامه حتى اكتظت الصالة بالكلام المتداخل الذي يؤكد عن عدم الرضا لهذا القرار، ليَهِم أحدهم واقفًا قاطعًا تلك الهمهمة غير الواضحة بصوت واضح وقال:

- أستاذ... هل أمر تأجيل الدورة أتى بسبب جثث الضحايا الثلاثة، الذين تم العثور عليهم داخل ثلاث حقائب على ساحل البحر فجر اليوم؟

حط الخبر على رؤوس الجميع كالصاعقة؛ فالبعض لم يكن يعلم بتلك الجريمة المروعة، وساد الصمت من جديد، بينما حرك (مرزوق) رأسه مؤكدًا على ما قاله.

2

السادسة فجرًا، قبل ساعات من بداية دورة (جمال كتابة الرواية) التي يقدمها المؤلف (مرزوق محمد)، كان هناك شابٌ يمارس رياضة الجري على ساحل شاطئ الشويخ كعادته اليومية، واضعًا سماعته على أذنيه ويستمع لموسيقى چون نولان، مستمتعًا بذلك النسيم البحري الذي يداعب وجنتيه، في بداية الأمر لم يهتم لما رأته عيناه قريبًا من الشاطئ، عندما كانت هناك حقيبة كبيرة مركونة على الرمال، وظن أن أحدهم قد وضعها ومن الممكن أن يعود لأخذها لاحقًا.

وبعد ما يقارب من خمسمئة متر أخرى لفت انتباهه أن هناك حقيبة أخرى كانت مركونة بالطريقة نفسها، هذا المنظر لم يكن مألوفًا لدى هذا الشاب، وبدأ الشك يلعب ألاعيبه في ذهنه، والتساؤلات تغزو عقله، فمن غير المعقول أن تكون الحقيبتان قد وضعتا صدفة بهذه الطريقة وفي هذا المكان.

شرد ذهنه بعيدًا وطرد تلك الظنون والأفكار كلها، وأكمل جريه وهو لا يريد أن يعكر صفو ذهنه، والاستمتاع بطقوسه اليومية وأكمل طريقه بكل حب، وبالمسافة التقريبية نفسها، توقف الشاب فجأة وهو يلهث وينظر للشاطئ من جديد، حقيبة جديدة قد وضعت سابقتيها نفسيهما، كان واضعًا يديه على ركبتيه ينظر ويفكر في الوقت نفسه، وهناك سؤال واحد في رأسه، لماذا هذه الحقائب كلها موجودة في المكان نفسه بهذه الطريقة؟ فهو يقوم برياضة الركض كل يوم في الوقت نفسه دون أن يرى هذا المشهد الذي بات مؤرقًا

له، ساد الصمت في رأسه وبعدها بثوانٍ قليلة قفز شيء جديد سيطر على تفكيره.

هنا بدأ فضوله يُحركه ونسى تلك النسائم الصباحية الباردة، وقرر أن يقترب من تلك الحقيبة الحالكة القريبة منه، يريد التأكد، لماذا وضعت هنا؟ وهل يوجد بداخلها شيء؟ المعطيات كلها تريده أن يكشف تلك الحقائب التي أصبحت تثير الشبهات وتزيد من ظمأ فضوله، الذي بدأ يلتهم عقله.

كان يتقدم خطوة ويعود أخرى، وحذّره يمنعه، وظن أن ما بداخل هذه الحقائب هو شيء من الممنوعات التي يتركها تجار العفن الذي يلعبون بعقول الشباب ويهربون، فكر قليلًا ثم اقترب، وما أن وصل حتى بانت بعض الكلمات التي لم تكن واضحة في البداية، كانت مكتوبة بطريقة غير منظمة على ظهر الحقيبة بلون أحمر وخط رديء.

(غير صالح للنشر).

هذا ما كُتب عليها، وهو ما أثار حفيظته.

مَن المقصود بتلك الجملة؟ توجه ناحية الحقيبة الأخرى التي كانت تتوسط تلك الحقائب عائدًا إليها، ووجد العبارة نفسها التي كانت مكتوبة على الحقيبة السابقة وبالطريقة نفسها، عقد حاجبيه من الغرابة، وراح يتلفت حوله يريد أن يرى أيّ شخص لعله يساعده في فك لغز تلك الحقائب، أو من الممكن أن يكون صاحبها قريب، لكنّ الشاطئَ كان يخلو من المارة تمامًا إلا منه.

(لعلهم يُصوّرون فِيلما أو برنامجًا تلفزيونيًا، وهذه عدة العمل).

هذا ثاني تخمين قفز في رأسه بعد فكرة الممنوعات، لا يزال فضوله ينهش قلبه، طرد تلك التخمينات كلها من دماغه، وعزم على اتخاذ قرار حاسم.

لم يتجرأ في البداية على فتحها مع أن فضوله كان يدفعه دفعًا إلى ذلك، اقترب بتوجس وركل الحقيبة الجلدية الكبيرة القريبة منه، إنها ممتلئة كما شعرت بها قَدَمه التي حاولت تحريكها، ولكن بسبب ثقلها لم يتمكن من زحزحتها من مكانها، ابتعد من جديد، فكر في الاتصال وإبلاغ رجال الأمن حتى يقوموا بعملهم خوفًا من أن يتورط في تلك الحقائب الغامضة، وهنا قرر دون تردد أن يفتحَ إحداهن حتى يتأكد، ظنًا منه أنها من المحتمل أن تكون ممتلئة بالملابس أو ما شابه ذلك.

مد يده على الزمام المنزلق الخاص بها، لم تكن مغلقة بإحكام، وما عليه فقط أن يقوم بجر ذلك المفتاح المعدني وبعدها ستفتح له الأسرار المخبأة داخلها، ازدرد لعابه، قلبه كان يخفق بشدة، وأطرافه تنتفض، قال لنفسه: (لماذا هذا الخوف كله؟ إنها مجرد حقيبة)، وقعت عيناه في هذه اللحظة على أشياء سائلة كانت تخرج منها، لم يُركز كثيرًا فتركيزه كله مُنصب على ما تحتويه، رفع الجزء العلوي منها وهنا تراجع للوراء، عيناه لم تصدقا ما رأته، سقط وهو يتراجع للخلف يحاول الابتعاد عنها، وصرخ بأعلى صوته لكن لم يسمعه أحد، كان جسمه كله يرتجف، ظن أن الوهم هو ما يصور له تلك الأشياء، بينما الحقيقة تشكلت أمامه بكل رعب.

أخذ نفسًا عميقًا، و-لا يزال- جسمه ينتفض، استعاد بعضًا من

شجاعته، (هل ما رأيته بعيني حقيقي؟) هذا التساؤل الذي كان يلح في رأسه، اقترب مع زيادة الحذر، وبعدها فتح الحقيبة مرة أخرى ليرى جسدًا بشريًا محشوزًا داخلها والدماء تُبروز كلّ شيء حولها، جسد مطموس الملامح، سوى من ذلك الرأس الذي تلطّخ بالدماء الطازجة، جحظت عيناه من الفزع، وأغلق الحقيبة بسرعة، شعر أن معدته تريد استفراغ ما فيها كله لهول المنظر الذي رآه، لم يظن ولا للحظة في حياته أنه سيشاهد ذلك المشهد الذي تقشعر منه الأبدان، ابتعد بخطوات بسيطة، وطرد فكرة فتح الحقائب الأخرى، ليس أمامه الآن سوى فعل واحد.

كان جالسًا بوضعية القرفصاء واضعًا رأسه بين ركبتيه يفكر ماذا يفعل في هذه اللحظة، همّ بالاستغفار والتعوذ وهو يتنفس بسرعة، دار مرة أخرى بالمكان متمنيًا مرور أيّ أحد كي يساعده على تخفيف وطأة الحدث الذي قَلَبَ كيانه، ويشاركه هذا الجزع.

تذكر هاتفه المحمول واكتشف مدى غبائه، ومن بعدها أخرجه ثم اتصل على بدالة النجدة 112:

- عمليات 112 تَفضل... كيف أساعدكَ؟

أجابه الشاب بارتباك وصوت مرتجف:

- لقد وجدتُ جثة محشورة فى حقيبة على الشاطئ... أرجو حضور الشرطة في أسرع وقت ممكن لفعل اللازم.

ردّ عليه موظف بدالة الطوارئ قائلًا:

- هل لكَ أن تأخذ نفسكَ وتهدأ قليلا؟ هل أنتَ في حالة آمنة؟

أحتاج أن أفهم منكَ ما الذي يحدث معكَ؟

قال الشاب وهو يحاول تمالك أعصابه، ويتلفت حوله خوفًا من ظهور أيّ شيء مفاجئ:

- وجدتُ ثلاث حقائب على الشاطئ... بعدما كنتُ أقوم بممارسة رياضة الجري الصباحية، فتحت واحدة منهن وكانت تُخبئ بداخلها جثة محشورة.

أجابه موظف البدالة، وقال:

- هل لكَ أن تحدد لي موقعكَ وبأيّ شاطئ أنتَ... وهل حولكَ أحد؟ أم أنكَ وحيد في المكان؟

كانت أعصاب الشاب مشدودة؛ فقال:

- أنا في شاطئ الشويخ، والمكان خالٍ تمامًا من الرواد... أرجوكَ عليكم الإسراع في الحضور، لا أدري ما تُخبئ الحقائب الأخرى.

سأله الموظف:

- ما لون الجثة؟ هل يوجد عليها علامات اعتداء أو دم.

رد عليه الشاب و-لا يزال- صوته يرتجف من الخوف:

- نعم... نعم الجثة الراقدة عارية أمامي ومشوهة، والدم يُغطيها كلها تقريبًا.

سأل الموظف الشاب مرة أخرى:

- حسنًا... هل قمت بلمس الجثة والتعرف عليها؟ هل يوجد سلاح

حولكَ أو أداة تعتقد أنها من الممكن أن تكون سببًا في موت الضحية.

رد عليه الشاب وبدأ الغضب يجتاحه:

- لا... لا أعرفه، ولم ألمسه بتاتًا، كيف لي أن ألمسه وهو في تلك الحالة المزرية! ولم ألحظ أيّ سلاح أو أداة بجانبه... أرجوكَ أنا لم أتصل لتحقق معي، أرجوكَ أسرع واطلب من رجال الشرطة الحضور فورًا... فهناك حقيبتان أيضًا لم أجرؤ على فتحهما.

قال له الموظف:

- لقد تم تحديد موقعكَ حاليًا، وتم إبلاغ رجال الأمن وهم في طريقهم إليكَ حالًا، حاول قدر المستطاع أن تتعامل بحكمة مع الموقف، وتتحاشى كل شيء يهددكَ.

رد الشاب والخوف يعتصر قلبه:

- حسنًا... حسنًا سأقوم بما طلبته كله، ما أريده كله منكم هو الحضور في أسرع وقت ممكن، لم أعتد على مثل هذه المواقف.

التي وجدت عليها الجثة الأولى، وكان خلفه رجال إدارة الجنايات الذين كانوا يقومون بمسحٍ شاملٍ لمسرح الجريمة، والتحرز على ما يجدونه كله في المكان، وتصوير كل شيء حتى بقايا آثار الأقدام التي طُبعت على الشاطئ.

كان وقتها ذهن الضابط (عبدالله) مُشوشًا مما رآه من منظر لم يعتد عليه، وبقي صافنًا يفكر فيما هو قادم، وتذكر بعض ما درسه في كُليته، أن العلامات كلها التي وجدت هنا ما هي إلا ملامح واضحة، عن قاتل منظم يريد إرسال رسالة صريحة، أن هذه الجرائم ما هي إلا البداية وعليكم أخذ الحذر، أو أنها رسالة تحدي وهي عادة ما يقوم به القتلة المتسلسلون، وربما في الوقت نفسه يتمتع بذكاء منقطع النظير بسبب الترتيب الواضح لمسرح الجريمة الذي يراه أمامه.

تحرك ناحية الحقيبة الثالثة ليجد زميله الآخر (سلمان)، ويؤكد له أن ما وجده فيها لا يختلف عن الحقيبتين الأخريين، هنا تحدث (سلمان) وقال:

- نحر من ناحية العنق، يدان مقطوعتان من الرسغ، لسان مبتور من المنتصف، إضافة إلى أن جميعهم لا يرتدون أية ملابس، والضحايا كلهم من الرجال، هذا ما تكرر على جميع الجثث التي وجدت في داخل الحقائب، الجرائم تفوق الوصف، ولا ندري حتى الآن عن هويات الضحايا، وما أراه أمامي يبدو أنهم شباب أعمارهم لا تتجاوز الثلاثين.

رفع الضابط (عبدالله) عن أكمامه وقال ببرود أعصاب مفتعل:

- يا صديقي نحن مقبلون على أيام لا تبدو أنها ستكون جميلة كما هو واضح، وقاتل يتعامل مع ضحاياه كما يتعامل الرسام مع لوحاته، ونحتاج إلى أذهان صافية كي لا نترك أية شاردة أو واردة، علينا جمع الأدلة الموجودة كلها في هذا المكان، ونقل الجثث إلى الطب الشرعي لنخرج بنتائج أوضح عن كيفية القتل وساعة حدوثه.

نظر للبحر الهادئ الذي كان أمامه، وأكمل كلامه:

- على حسب خبرتي في مثل هذه الوقائع الأولية؛ أن هذا القاتل لن يتوقف عمّا يقوم به، وعلينا الإسراع في القبض عليه، الرأي العام لن يرحمنا لو قام بجريمة أخرى، ونريد الكشف عن هويات الضحايا في أسرع وقت ممكن؛ كي نستطيع جمع كافة المعلومات عنهم لنصل إلى هذا القاتل المجنون.

أجابه زميله (سلمان) ببعض من التساؤلات وهو يعاين الجثث:

- لم يمر عليّ طوال السنين الماضية التي عملتُ فيها جريمة بمثل هذه البشاعة والدقة، السؤال الأهم لماذا وضعها بهذه الطريقة المكشوفة؟ هل يريد هذا القاتل أن يلعب معنا لعبة؟

وما أن انتهى (سلمان) من تخميناته تلك حتى صرخ أحد أفراد الأمن الذي كان بجانب إحدى الجثث، بعدما كان يركز نظره عليها وقال وهو في حالة انبهار تام مشيرًا بإصبعه نحو الجثة:

- عبدالعزيز حمد، إنه المشهور الذي لديه قناة على اليوتيوب يسرد من خلالها القصص والمعلومات الغامضة، يا إلهي! لم أتصور يومًا أن يكون أول لقاء معه وهو جثة هامدة أمامي.

انتبه الضابط لكلام زميله وقال:

- هل أنت متأكد مما تقول؟ علاقتي مع التكنولوچيا الجديدة كعلاقة جدي مع الممثل براد بِت، لا أتابع هؤلاء الحمقى كثيرًا، كوني -ما زلت- من القدامى الذين يستخدمون هواتفهم فقط لاستقبال وإرسال المكالمات.

تجمع عدد من الأفراد الذين كانوا يوجدون في الموقع بعد سماع صوت الشرطي وقال أحدهم:

- بالفعل ما يقوله صحيح عبدالعزيز حمد اليوتيوبر المشهور، والذي لديه العديد من المقاطع على مواقع التواصل الاجتماعي، أعتقد أن أغلب الشبان يعرفونه جيدًا بسبب كثرة ظهور مقاطعه على اليوتيوب والتيك توك وغيرها.

بانت ملامح الأسى على جميع الموجودين وهم يركزون نظرهم على جثة هذا الناشط الإليكتروني، غير مبالين بباقي الجثث.

تحدث هنا زميله (سلمان) وقال:

- أتمنى أن تتأكدوا من وجوه الجثث الأخرى، معرفتهم بشكل سريع، سيساعدنا على تقليص الوقت والقبض على القاتل الذي -لا يزال- حرًا طليقًا.

قال الضابط (عبدالله) بتهكم:

- وجوه ترهقها قترة، هذا ما أراه من الملامح الرئيسية، لو كان أحد أقربائكم لما حزنتم عليهم هذا الحزن كله.

التفت لصاحبه واستأنف حديثه:

- أرجوكَ لا تدون هذه العبارة في المضبطة... لا أريد أن أكون أحد أعمدة هذه الجريمة القذرة.

تقدم هنا المصور الخاص بإدارة الجنايات وقال:

- عرفتُ هوية جثة أخرى.

رد عليه الضابط (عبدالله) بعدم اكتراث، وقال:

- مَن يكون... هل هو فانشيستا آخر ولديه موقع على الإنترنت، زملائي اليوم سيقومون بإقامة عزاء في بيوتهم لو قلت إنه يوتيوبر آخر.

أجابه الموظف وقال:

- مؤلف روايات وعلى ما أعتقد اسمه لؤي هاشم، لديه العديد من التصريحات المثيرة للجدل في مواقع التواصل الاجتماعي، لا أتذكر أسماء كتبه كثيرًا، وما أعرفه كله أنه فقط ينشط أثناء إقامة معارض الكتاب.

هز الضابط (عبدالله) رأسه وقال:

- يبدو أن قاتلنا الجديد يقتل بطريقة ثقافية، يقتل بالقلم والسكين معًا.

وبعدها صرخ قائلًا:

- يكفي حزنًا على هؤلاء الضحايا... ركزوا على عملكم كثيرًا... وراءنا ليالٍ ملطخة بالسواد الذي يكسوه الإحمرار.

4

يجلس أمام مكتبة كتبه التي أخذت حيزًا كبيرًا من المساحة في منزله، وينظر إلى الركن الخاص الذي وضع فيه مؤلفاته المكونة من 39 إصدارًا، متذكرًا تلك الرحلة الطويلة التي بدأت منذ عشرين عامًا، خاض من خلالها العديد من الحروب، واجتاز بها العديد من العقبات مع شخصيات كادت أن تقتل موهبته الفريدة بسبب الغيرة والحسد والحقد، الوجوه التي تراءت أمام عينيه وهي تدور في فناء مكتبه، يقطع لحظات التفكير تلك الجريمة التي حدثت صباح اليوم، وهناك سؤال واحد يطرق رأسه:

لماذا الضحايا من المؤلفين فقط؟

هذا ما كان يدور في ذهن الكاتب (مرزوق محمد)، يتذكر هؤلاء الأشخاص الذين التقى بهم في فترات متقطعة، بينما الجانب الثاني من عقله كان يتخيل الوضع العام لمعرض الكتاب الذي سينطلق صباح الغد، وما سيترتب عليه بعد هذه الجرائم المخيفة التي نالت من هؤلاء المؤلفين، كيف سيتقبل الحضور هذا الحدث البشع والفريد من نوعه؟

عَلِمَ من وسائل التواصل الاجتماعي والأخبار أن القتلى هم (عبدالعزيز حمد)، و(لؤي هاشم) و(طلال نصير)، لا يدري هل القاتل قد اختار ضحاياه بعناية أم أن الموضوع كان عشوائيًا، وأن ما جرى كله كان بالصدفة، خفق قلبه هنا، تصور شيئًا مرعبًا ما، كيف كانت عليه أوضاعهم قبل قتلهم بدقائق؟ وما تلك المشاعر التي اجتاحتهم لحظتها؟ أغمض عينيه بتوتر، وقال بصوت منخفض:

- لماذا هذا القاتل اختار ضحاياه من المؤلفين؟

قطع موجة الهواجس والتخيلات تلك صوت باب الشقة وهو يُفتح، لتدخل زوجته (حنان سالم) الطبيبة النفسية المشهورة، وهي تضع حقيبتها الصغيرة على طاولة الطعام القريبة من الباب وعلى وجهها علامات التأفف، دارت بنظرها باحثة عن زوجها وانتبهت أن باب مكتبه كان مواربًا، توجهت نحوه ودخلت، ثم ألقت التحية على زوجها ومن ثم جلست على الكرسي القريب منها، وقالت بتهكم:

- هناك نوعية من المرضى الذين أتعامل معهم يحتاجون لصبر أيوب مضاعف كي تتصرف معهم بكل هدوء، لا أدري لماذا درست واجتهدتُ كي أصل لهذه المكانة، ويأتي أحدهم ليقول لكَ:

- الإنسان طبيب نفسه.

قالتها بسخرية، ثم أكملت:

- ما دام الانسان طبيب نفسه علينا إذن إغلاق جميع المستشفيات والعيادات، وعلى الأطباء تعليق شهاداتهم التي تعبوا فيها على الحوائط فقط، كي يأتي أحدهم ويُلقي عليّ هذه العبارة السخيفة.

التفت (مرزوق) لزوجته، وقال لها:

- هدّئي من روعكِ قليلًا عزيزتي، دائمًا ما أقول لك لا تنقلي ما يحدث في عملك للمنزل كي لا تكوني رهينة تلك الضغوطات طوال يومك.

أغمضت (حنان) عينيها وارتمت برأسها على الكرسي وقالت:

- معكَ حق... لا بد أن أفصل بين العمل والمنزل، لكني أريد أن أخرج ما في قلبي من تلك الضغوطات، كما تعلم أنا طبيبة نفسية وأكره التعامل بالعقاقير والأدوية، وأفضِّل على ذلك الطرق العلمية التي تعالج عن طريق الجلسات أو البحث عن ماضي المريض، العلاج بالأدوية دائمًا ما تكون له آثار جانبية ومن الممكن أن يؤثر على شيء آخر في الجسم.

هز (مرزوق) رأسه موافقًا إياها، وقال:

- عليكِ بالصبر كما قلت... وأن يكون بالكِ طويلًا، فهم بالأخير مرضى كما تقولين وهذا عملكِ...

قاطعته قائلة:

- تخيّل أن أحد مراجعي اليوم، خاطبني قائلًا: (علاجكِ بالجلسات أو الفضفضة كما تتدعين مفعولها بطيء، بينما العلاج بالدواء سريع)، يا غبي أعلم أن العلاج بالدواء سريع لكن مفعوله سيزول أيضًا بالسرعة ذاتها، وتعود مرة أخرى لحالكَ ومن المحتمل أن تنتكس في أيّة لحظة، وفي هذا الوقت ستدخل في دوامة أخرى معقدة.

لم يجب (مرزوق) على زوجته بعد أن انتهت من كلامها وكان شاردًا في تلك اللحظة، انتبهت (حنان) لزوجها وفهمت أن هناك شيئًا يؤرق ذهنه، مستغربة في الحين نفسه؛ لأنها تعلم أن هذا الوقت من كل سنة وبالتحديد قبل أي معرض للكتاب، تكون معنوياته عالية وحالته النفسية جيدة، فلماذا في هذا اليوم تراه على هذا الحال، سألته مستفسرة:

- ما بالكَ شاردًا؟ ولماذا أرى على وجهكَ علامات الأسى؟

أخذ مرزوق نفسًا عميقًا، وكان في يده هاتفه المحمول مده ناحيتها وقال لها:

- هل قرأتِ هذا الخبر؟

أمسكت بالهاتف ووجدت منشورًا صغيرًا مكتوب بداخله، جريمة شاطئ الشويخ تُسفر عن ثلاث جثث داخل حقائب.

عقدت حاجبيها ونظرت له وقالت:

- لم أفهم ما ترمي إليه، ما الرابط بين الخبر الذي قرأته، وحالتكَ هذه؟

اعتدل زوجها في جلسته والتفت إليها وقال:

- أعلم جيدًا أنك لا تهتمين بمثل هذه الأخبار ولا تتابعين الوضع الاجتماعي المحلي، كونكِ تصبين تركيزكِ كله على عملكِ ومراجعيكِ، الثلاث ضحايا ما هم إلا زملائي من المؤلفين.

قالت بتعجب بسبب الصدمة التي حلت على عقلها:

- يا إلهي! كيف ذلك؟ عقلي يريد استيعاب ما قلتَ، وهل أنت متأكد من الخبر؟

أجابها وعلامات الحزن على وجهه:

- لقد تأكدتُ من خلال مصادري الخاصة، الدنيا مقلوبة على هذا الخبر منذ صباح اليوم، أنا نفسي لم أصدق في البداية، كون الضحايا كلهم من المهنة نفسها.

قاطعته بتلهف وقالت:

- من القتلى الذين راحوا ضحية تلك الجريمة؟

ردّ عليها بعدما سكت قليلًا:

- لؤي هاشم، عبدالعزيز حمد، وطلال نصير.

ظلت صامتة لبعض الوقت، كانت تريد أن تبتلع ما سمعته منه بهدوء، بعدها قالت:

- القاتل في مثل هذه الظروف لا يكون عشوائيًا، وعلى حسب دراستي، أننا الآن أمام نوعية من القتلة الذين يطلقون عليهم القتلة المتسلسلين، وهذا النوع -دائمًا ما- يكون منظمًا وذكيًا في اختيار ضحاياه، وعلى حسب ما فهمته منكَ أنه يبحث عن المؤلفين؛ وذلك لغرض ما في نفسه، وأنتَ يا مرزوق مؤلف وهذا دليل قاطع أنك مستهدف.

ابتسم ابتسامة مصطنعة وقال:

- كفى أرجوكِ عن هذه الوساوس يا (حنان)... لماذا ذهبتِ بعيدًا بذلك التفكير؟ نعم ما قلتِه في البداية ممكن، لكن عليكِ أن تفهمي أن هناك المئات من المؤلفين، وليس للقاتل أي نمط معين أو كما أعرف أن القتلة المتسلسلين لهم -أيضًا- صفات جسمية يختارونها قبل أن يجهزوا على ضحاياهم.

لم يعجبها رد زوجها وردت عليه قائلة:

- توقع غير المتوقع يا (مرزوق) من هذه النوعية من المجرمين،

هناك احتمال كبير أن يكون هذا السفاح أحد زملائك في العمل، تراه إنسانًا عاديًا يتعامل معكم بكل لطف، ولا عليه أية بادرة من بوادر الإنسان غير السوي، كما قلتُ لكَ إنه ذكي لا يثير الشك أو الريبة.

صمتت هنا لثوانٍ معدودة ثم أكملت حديثها:

- لحظة هناك قاسم مشترك بين المؤلفين الثلاثة الذين قام القاتل بقتلهم، كما أعرف أنهم كما قلتَ سابقًا مدعين كتابة؛ أي أنهم دخلوا هذا المجال بطرق غير صحيحة، وفي الأساس هم لا يملكون مَلكة الكتابة، وكل واحد منهم عليه العديد من علامات الاستفهام، أذكر أنكَ قد قلت لي مرة إن هذه النوعية من الكُتَّاب والمواضيع التي يطرحونها ما هي إلا تشويه حقيقي للكاتب الحقيقي.

وضع هنا (مرزوق) يده على رأسه وقال:

- حنان... حبيبتي كنتُ أعرف أنني سأدخل معكِ في مواضيع تحليلية طويلة، وأعلم تمام العلم أنكِ تعشقين هذا النوع من البحث والتحري، ولكن ليس هذا وقته.

قالت له وهي غير راضية عن ردة فعله:

- ما أقوم به كله من أجلكَ، كونكَ الآن أصبحت مهددًا، لا تدري ما يفكر فيه هذا القاتل الآن.

قال لها وهو يحاول تهدئة الموقف:

- وهل ترين أنني كاتب غير جدير بالثقة؟

هزت رأسها وقالت:

- أنت تعرف جيدًا أنني أكثر الداعمين لكَ، وما أريده كله هو حمايتكَ، فأنا لا أستطيع أن أتخيل أنك من الممكن أن تُصبح أحد الضحايا المحتملين.

أجابها وقال:

- حبيبتي أعلم حرصكِ الكبير عليّ، والجريمة كما تعرفين حصلت صباح اليوم، ولا ندري حتى هذه اللحظة أين ومتى وكيف حصلت؟ علينا الصبر.

ثم نظر لها بكلّ حب:

- دعينا من هذا كله وأخبريني الآن... ما النتائج التي ترينها على مرضاكِ بخصوص مشروعكِ (آلية التشفير العصبي السمعي القسري) مع مراجعينكِ؟ هل قُمتِ بإعادة برمجة أدمغتهم عن طريق حاسة السمع؟

لم يعجبها طريقة تحويل الحديث لشيء عادي جدًا وقالت:

- كما هي العادة... إن لم يعجبكَ الموضوع تسعى لتغييره؛ علاجي الذي أقوم به يسير على أكمل وجه، وأنتَ تعلم أن نتائجه مبهرة، أعرف تلك الألاعيب التي تقوم بها.

ضحك ثم قام باحتضانها وقال:

- صدقيني لن يكون هناك إنسان حريص على نفسه مثلي، دعيني الآن أتجهز قبل الخلود إلى النوم، فكما تعلمين صباح الغد هو بداية العرس الأدبي السنوي، أول يوم في معرض الكويت الدولي للكتاب.

5

يجلس أمام مكتبه، يُخرج من حقيبته شطيرته المعتادة، يتعامل معها كما يتعامل صائغ الذهب مع مصوغته، بهدوء يضعها على المكتب ومن ثَمّ يُخرجها من كيسها البلاستيكي الشفاف، ينظر لها لبرهة وبعدها يأخذ منها قضمة صغيرة، يمضغها بهدوء ثم يغمض عينيه مستمتعًا بالطعم وكأنه يستمع لإحدى سيمفونيات النمساوي موزرات.

قاطعه هنا زميله (سلمان) وقال:

- لا أعرف ما السر وراء هذه الشطائر التي لا تفارقكَ طوال عملكَ... يا رجل أنتَ تُعاملها كأنها معشوقتكَ، وما أراه لا يتعدى شطيرة منزلية مملوءة بالجبن وبعض الخضروات، أعتقد أن معدتكَ لو كانت لها القدرة المطلقة على التصرف والكلام لصفعتكَ على وجهكَ وطلبت منكَ إلغاءها من قائمة أكلكَ.

ابتسم الضابط (عبدالله) بعد أن وضع قطعة الشطيرة على المكتب، وقال:

- تفاصيل صغيرة لا يميزها إلا عقلي عن هذه الشطيرة، دعكَ منها وقُل لي... هل وصل تقرير الطب الشرعي الخاص بالجثث؟

وبعدها واصل تناول طعامه دون أية مبالاة تُذكر للوضع الراهن الذي هم عليه.

غمغم (عبدالله) بصوت منخفض قائلًا:

- لا أعرف كيف له أن يتناول فطوره وفي الوقت نفسه يفكر في جثث مُقطعة، ثم أردف كلامه بعد أن أخرج من الظرف عددًا من الأوراق وقال:

- كما ترى... قبل ربع ساعة وصل تقرير الطبي الشرعي، كوني طلبت منهم صفة الاستعجال به، بسبب الوضع العام الذي يستدعي السرعة في إنجازه.

هَمّ (سلمان) بقراءة التقرير الذي وضعه أمام وجهه يريد أن يتلوه بالكامل، انتبه (عبدالله) لتلك الحال وقاطعه قائلًا:

- لا أريدكَ أن تُلقيه عليّ بالطريقة التي كان يخطب بها الألماني هتلر، اختصر وقل لي أهم ما جاء به، اليوم أربع وعشرون ساعة فقط، وتقارير الطب الشرعي تحتاج إلى ثلاثة أيام عمل لتقوم بقراءتها كاملةً.

انتبه هنا (سلمان) لما قال، ليتراجع ويفرد ظهره على الكرسي، وقال:

- موت الضحايا كما هو مدون ليس بسبب النحر كما تصورنا في البداية، الضحايا الثلاثة قتلوا بالسُم قبل نحرهم، وبعد ذلك تم التمثيل بجثثهم بتلك الطريقة التي رأيناها، والجرائم حصلت في ساعات متفاوتة؛ أي أن الفارق الزمني بين كل جريمة وأخرى ساعة تقريبًا، والوقت المحدد كما اطلعت عليه في التقرير قبل يوم واحد، تحديدًا ما بين العاشرة مساءً حتى الثانية عشرة بعد منتصف الليل؛ أي أن القاتل لم يقم بجريمته في وقت واحد، لكن المعضلة الأكبر التي واجهتنا تكمن في إحترافية القاتل؛ فمسرح الجريمة كان نظيفاً

تماماً، خالٍ من الأدلة التي من الممكن أن تشير إليه، حرص على عدم ترك أي أثر بيولوجي أو مادي خلفه، حتى بصماته لم تكن موجودة، كأنه شبح قام بفعلته وأختفى.

لم تكن هناك أيّة علامات اكتراث على وجه الضابط (عبدالله) لما كان يتحدث به زميله (سلمان) كونه كان يلتهم شطيرته باستمتاع، وهو الأمر الذي جعل (سلمان) يشعر ببعض الضيق من هذا التصرف، صمت وكان ينظر لعبدالله بعينين غير راضيتين ثم قال:

- يبدو أن التقرير لم يكن به شيء يثير فضولكَ، وكأننا نتعامل مع هذه الجرائم كما يتعامل بعض أفراد الشرطة مع حوادث السيارات التي تحصل بشكل يومي.

مسح الضابط (عبدالله) بقايا الطعام التي سكنت فوق شفتيه وأطراف فمه، ثم ارتشف رشفة من كوب الماء الذي بجانبه وقال:

- اعلم أنكَ متحمس كثيرًا للقضية التي أمامنا، وتريد أن تحل جميع عقدها في أسرع وقت ممكن... لكن يا صديقي دعني أخبركَ بشيءٍ... علمتني الحياة أن أكون باردًا جدًا، لما يظنه الأغلبية أمرًا مهمًا، كي أفكر بهدوء واستجمع ما بقى من رأسي، دون ترك أي من طقوسي اليومية وأهمها تناول إفطاري بهذه الشطيرة التي أراها بدأت تغيظكَ.

زفر (سلمان) بهدوء من تصرفات زميله كي لا يشعره بضيقِه من تصرفاته اللا مبالية لما يحدث حوله، وقال محاولًا تمالك أعصابه:

- الشارع العام غاضب يندد ويستنكر الهدوء المسيطر على عملنا،

والكل ينتظر منا الإجابة على التساؤلات كلها التي يتناقلها الناس بشأن تلك الجريمة الغريبة والبشعة، وهناك في الخارج قاتل حر طليق من الممكن أن يقوم بجريمة أخرى، الوقت يجري بسرعة كبيرة، وبصراحة وبدون أيّة مجاملات، ردة فعلكَ على التقرير كانت باردة كالثلج، شعرت أن الشطيرة أكثر أهمية بالنسبة لكَ، رغم أن هناك ثلاثة أرواح قد أزهقت.

رد الضابط (عبدالله) بعدم اكتراث بما قاله زميله، وأجاب بالبرود نفسه:

- كما قلتُ لكَ إنها طقوس يومية لا أريد قتل متعتها بجريمة لا دخل لي بها، الرابط الوحيد التي يجمعني الآن معها أنني أول ضابط تحريات اصطدمت به، والقاتل سئلقي القبض عليه طال الزمن أو قصر... مسألة وقت لا أكثر.

لم تكن الإجابة مُرضية لـ(سلمان)؛ هنا أكمل (عبدالله) حديثه قائلًا:

- هل تأكدتَ من هُويات الضحايا؟

وضع (سلمان) عينيه في الورقة التي أمامه وقال بنبرة غير مبالية:

- الضحايا كما هو مدوّن في الورق هم كل من اليوتيوبر (عبدالعزيز حمد)، والكاتب (لؤي هاشم)، أما الكاتب الثالث هو (طلال نصير).

نظر الضابط (عبدالله) إلى زميله سارحًا في تفكيره وقال:

- هذا يعني أن الضحايا كلهم من المجتمع الثقافي، وكلهم من المؤلفين، كما توقعتُ القاتل لديه طريقة فريدة في اختيار ضحاياه،

علينا الآن جمع المعلومات كلها عن الضحايا وعن آخر تحركاتهم قبل ساعات موتهم، ومن لديه الدوافع الرئيسية لموتهم، القاتل لن يخرج من إطار مجالهم، وإذا أخذنا تفكير آخر... لربما أراد القاتل أن يُوحي لنا أنه من هذا المجال كي يخرج من دائرة الشبهات.

لاحت ملامح السرور على وجه (سلمان) الذي كان أكثر جدية وقال:

- عبدالله لا تتضايق من كلامي... أشعر للحظات بأنني أتعامل مع أذكى ضابط بالعالم، كونكَ بسرعة بديهتكَ هذه حصرت القضية في مكان واحد، وأخذت الافتراضات كلها على محمل الجَد، في المقابل هناك شيء آخر يجعلني...

قاطعه (عبدالله) وقال:

- هل تقصد برودي وعدم مبالاتي؟

هز الضابط (سلمان) رأسه وقال:

- كما قلتَ... شعرت أن الشطيرة التي أمامكَ أهم من أرواح الضحايا، وفي المقابل كنتُ أظن أن ما ذُكر في التقرير سيجعلكَ تقفز من مكانكَ.

أمسك بالشطيرة وأخرج القطعة الثانية من الكيس وقال:

- بالفعل هذه الشطائر أهم ألف مرة من هذه القضية التي تشغل بالكَ كثيرًا، صحيح أن القضية بها موت وحياة؛ لكن الحياة علمتني أن أعطي كل شيء حقه، لحظاتي مع نفسي، وجباتي، روحانياتي، كل شيء له وقت، لا أريد أن يسرق قاتل مخبول مني تلك اللحظات

بينما هو يستمتع بوقته.

توقف فجأة عن الكلام كأن شيئًا لمع بذهنه وقال:

- على ما أعتقد أن اليوم هو انطلاق معرض الكتاب الدولي للكتاب في أرض المعارض الدولية.

انتبه زميله لما قال ثم أخرج هاتفه وبحثه فيه، وقال:

- نعم... اليوم انطلاق معرض الكتاب.

ساد الصمت لثوانٍ وقال (سلمان):

- علينا الإسراع والذهاب إلى هناك، من الممكن أن نحصر تحرياتنا كلها في المعرض ونرصد ما هو مهم كله؛ فمجتمع المؤلفين صغير كما أرى، ولربما نستطيع أن نمسك طرف الخيط الذي سيدلنا على هذا المجرم.

أجابه (عبدالله) وقال:

- لن أذهب لأيّ مكان قبل أن أنتهى من شطيرتي.

هز (سلمان) رأسه بأسى، ونظر للساعة وقال:

- الساعة الآن هي العاشرة صباحًا... وعلينا الآن...

وقبل أن ينتهي من جملته سمع صراخًا آتيًا من الخارج، في البداية لم يكن الصوت واضحًا، وبعدها فتح أحد افراد الشرطة الباب، وقال:

- أحدهم يقول إنه صديق الكاتب (طلال نصير) ويريد أن يتحدث إليكم.

لم يرفع الضابط (عبدالله) رأسه وكان يلتهم شطيرته بكل لذة وقال وفمه ممتلئ بها:

- دقائق وأذهب إليه... لقد قتلتوا متعة التلذذ بوجبتي المفضلة، على ما أعتقد (طلال نصير) هو أحد الضحايا.

نهض وهو يمسح بقايا الطعام من على وجهه بتأفف واضح، تاركًا نصف شطيرته على المكتب وقال:

- اتبعني كي نستجوب زميل (طلال نصير)، علّنا نخرج ببعض من المعلومات منه.

ترك زميله وانطلق إلى الغرفة المجاورة، هنا زفر (سلمان) لكن هذه المرة بعصبية واضحة، وكأن الغيظ كله يخرج من صدره دفعة واحدة، بسبب برود زميله في التعامل مع هذه القضية، واتجه ناحية الشطيرة التي يعشقها (عبدالله) ويقدسها التقديس كله يريد معرفة محتوياتها، نظر إليها وقال:

- لماذا هذا الاهتمام كله بشطيرة عبارة عن قطعة خبز ممتلئ بالجبن السائل والطماطم والبصل؟

لم تكن محتويات الشطيرة تعجب (سلمان) الذي نظر لها باشمئزاز وقال:

- أية شطيرة لعينة أنتِ.

6

في قسم الشرطة كان (راشد) يراقب وجهيّ الضابطين (عبدالله) و(سلمان) بقليل من التوتر، وعلى ملامحه اختلج الحزن بسبب مقتل صديقة الكاتب (طلال نصير)، وبعينيه لاحت العديد من الأسئلة التي لم يجد لها أية إجابة، هنا تحدث الضابط (عبدالله) قائلًا:

- كما فهمنا منكَ أنكَ صديق الضحية (طلال نصير)، هل لكَ أن تُبين لنا سبب حضوركَ رغم أننا لم نطلب منكَ هذا؟

أجاب راشد وقلبه يخفق بشدة:

- خبر مقتل صديقي صدمني كثيرًا، (طلال) إنسان مسالم ليس لديه أي أعداء، ويعيش مع والده الكبير في السن، وليس لديه أقرباء، ما كنتُ أريده كله هو معرفة سبب مقتله، ولا أدري كيف سأنقل الخبر لأبيه المقعد؟

سالت من عيني (راشد) بعض من الدموع بعدها أكمل حديثه وقال:

- هذا كله بسببي... ليتني لم أقترح عليه الدخول في عالم الأدب... كانت مجرد دعابة، والمجنون أخذها على محمل الجد، رغم أنني لم أره في حياتي يقرأ كتابًا واحدًا... الشهرة التي كانت تحيط بالمؤلفين هي ما جعلته يحزم أمره وكتابة كتابه.

انتبه الضابط (عبدالله) لهذه الجملة وقال:

- هل تقصد أن (طلال نصير) لم يكن من محبي القراءة والكتابة؟

أجابه (راشد) وهو يمسح دموعه:

- طلال صديقي منذ أكثر من خمس عشرة سنة، تعرفت عليه أثناء دراستنا في إحدى الكُليات، وأغلب حياته كانت عبارة عن عبث، بصراحة هو لم يكن يعرف ماذا يريد، أحيانًا تجده يريد أن يصبح لاعب كمال أجسام، فتراه ينغمس بكل ما هو مرتبط بهذه الرياضة، وبعدها تراه يتمنى أن يكون مذيعًا تلفزيونيًا، وأتذكر مرة أنه عزم على أن يكون رسامًا رغم أنه لا يفقه أي شيء في هذه الهواية، حتى وصل بالأخير وقرر أن يكون كاتبًا، بسبب نصيحتي التي كانت عبارة عن دعابة، المصيبة أنه في قرارة نفسه صدق تلك الأكذوبة ورأى أنه كاتب فَذ.

قاطعه هنا الضابط (سلمان) وقال:

- كم كتاب صدر للضحية طلال؟ وهل هناك تفاعل مع الناس على ما كتبه؟

أجابه (راشد) دون تردد:

- منذ خمس سنوات دخل لهذا المجال، معتقدًا أن الفتيات ستحاصره من كل مكان، والقنوات التلفزيونية ستطلبه، والمال سينهال عليه كالمطر، والمصيبة كل كِتاب قد كتبه لم يبع منه سوى المئات من النسخ، لم تكن لدي أية قدرة لمصارحته على فشله، كنتُ أتعاطف معه وأدعمه، ويا ليتني لم أفعل ذلك.

قال هنا الضابط (عبدالله):

- دعنا من هذا كله وقل لي... متى آخر مرة رأيتَ فيها صديقكَ

(طلال)؟

حاول (راشد) استجماع ذاكرته، ثم قال:

- قبل يومين كنتُ جالسًا معه في أحد المقاهي، وعلى ما أتذكر قبل رحيله قال لي إنه يريد الذهاب للنوم كونه يعمل بنظام (الشُّفتات) في إحدى الوزارات، ومن ليلتها لم أعلم عنه أي شيء، إلا بعدما سمعت هذا الخبر الذي نزل عليّ كالصاعقة.

أكمل الضابط (عبدالله) أسئلته وقال:

- هل لدى صديقكَ أي أعداء؟ أو ذَكَرَ لكَ أن هناك مَن يُهدده؟

قال (راشد) مجيبًا على السؤال:

- رغم أن صديقي كان ساذجًا، لكن لم يكن له أي أعداء، نعم كان يخلق هؤلاء الأعداء في خياله، بسبب كثرة كلامه عن أشخاص يحاربونه في مهنته ويغارون منه ويتمنون فشله، ويدخل في سجالات مع بعض قرائه عبر مواقع التواصل الاجتماعي ظنًا منه أنهم يريدون إسقاطه.

قام الضابط (عبدالله) بسؤاله مجددًا:

- هل ذَكَرَ لكَ أسماءً محددة عن هؤلاء الأعداء؟

أجاب (راشد) بسخرية وقال:

- إنه يخلق أعداءً من الوهم... لم يذكر لي أيّ اسم، كنتُ -دائمًا- أقول له: أنتَ تعيش في عالم مختلف يصنعه لكَ خيالكَ وتُصدِّقه رغم أن على أرض الواقع لا يوجد أي شيء، وهؤلاء الأعداء يوجدون

فقط في رأسكَ... وكل مهنة أو هواية دخل بها كان يقول لي مثل هذه الأشياء.

قاطعه الضابط (سلمان) وقال:

- هل تُلمِّح لأن زميلكَ كان يُعاني من أمراض نفسية؟

أخذ نفسًا طويلًا وأجاب عليه:

- في الحقيقة نعم، رغم أنه لم يصرح لي بهذا الشيء، لكني استنتجته بسبب العِشرة الطويلة، كونه عاش طفولة قاسية وإهمالًا شديدًا من والديه، أمه التى تطلقت وهو فى سن صغيرة وعاش فى كنف والده الذي أهمله كثيرًا؛ فأصبح يخلق له عوالم يتمنى أو يريد بها النجاح، حياة صديقي (طلال) كانت عبارة عن كتلة من الفشل، لم ينجح في أي مجال حتى في دراسته... لم يفلح كثيرًا، لقد تخرج منها بشِق الأنفس.

ساد الصمت لدقائق، ثم أردف (راشد) حديثه:

- هل عرفتم مَن القاتل الذي قام بتلك الفعلة الشنعاء؟

رد عليه هنا الضابط (عبدالله) وقال:

- الجريمة حدثت ليلة البارحة، حتى هذه اللحظة لم نتوصل لأي شيء ونقوم بتحرياتنا عن ذلك، لا تقلق... أعدكَ بأننا سنقبض على القاتل، ما أريده كله منكَ الآن ترك بياناتكَ لدى الأخوة في الخارج؛ لأننا من الممكن أن نحتاجكَ في الأيام المقبلة.

لاحت على ملامح (راشد) بعض علامات الأسى، وقال:

- كيف لي أن أخبر والد (طلال)؟ الرجل كبير في السن وهناك احتمال كبير أن يَقضي عليه هذا النبأ.

قال الضابط (سلمان) فور انتهائه من جملته تلك:

- اترك لنا عنوانه أو رقم هاتفه مع بياناتكَ في الخارج، ونحن مَن سنقوم بهذه المهمة... لا تقلق بشأن هذا الأمر.

تركهم (راشد) ورحل من المكان وفوق رأسه العديد من الأسئلة التي لم يجد لها أيّة إجابة، قال الضابط (عبدالله) هنا:

- الذي استنتجه من كلام راشد... أمر مهم... هناك صفة تجمع بين الثلاث ضحايا.

رد عليه زميله (سلمان) مستفسرًا:

- ما هذا الشيء الذي جمع بين القتلى؟

أجابه (عبدالله) وهو يكتب على الورقة التى أمامه:

- (عبدالعزيز حمد) يوتيوبر؛ أي أنه ليس له صلة بالكتابة... (لؤي هاشم) كاتب مثير للجدل، كما ذكر لي بعض الزملاء في العمل، وقبل ساعة دخلت على مواقع التواصل الاجتماعي وفهمت أنه يبحث عن الشهرة من خلال تصريحاته، وكتبه أغلبها بمحتوى فاشل ومثير للجدل، بمواضيع غريبة مجتمعنا لا يقبلها... نظامه: خالِف تُعرف، ولكنه لم ينجح طوال تلك الفترة.

قال الضابط (سلمان) هنا:

- ألم أقل لكَ إنك محقق فريد من نوعكَ.

نهض الضابط (عبدالله) وقال:

- دعنا من هذا كله، نريد زيادة تحرياتنا عن الضحايا كلهم، وأعتقد أن أفضل مكان للبحث هو معرض الكتاب القائم في الوقت الحالي، انشر عددًا من أفراد المباحث في المعرض؛ كي يبحثوا عن تلك التفاصيل الصغيرة، بينما أنا وأنتَ سنبحث عن المقربين، القاتل شهيته مفتوحة على المؤلفين وعلينا رصد تحركاتهم في أسرع وقت، ومن الممكن أن يقوم بأعماله تلك مرة أخرى، أو أن يقتل بطريقة مختلفة، وليس هدفه فقط الكُتاب الذين اقتحموا هذا المجال.

خرج (عبدالله) من المكتب دون أيّة موافقة من زميله، الذي بدوره هز رأسه وقال في سرّه:

- معتوه يتخذ قرارات ويوافق دون الرجوع لي أو تأييدي لها.

7

اهتمامه كله كان مُنصبًا على مظهره ومنظره العام، لا يريد أن تكون هناك ثنية ولو بسيطة على ثوبه الأبيض، يقف أمام المرآة الصغيرة في مركبته، يتأكد من هندامه، يمسح على لحيته الخفيفة التي ملأت وجهه المنتفخ، يخرج قنينة العطر ويمطر بها ملابسه الخارجية، يترجل من سيارته، يقف مرة أخرى أمام زجاج مركبته الخارجي، ينظر مرة أخرى إلى غترته البيضاء التي اعتلت رأسه، هل -لا تزال- على ترتيبها؟ وثم يُحوّل نظره إلى حذائه الأسود، هل -ما يزال- يلمع؟ وبعدها يفرد صدره ويسير بخطوات ثابتة وبخيلاء متجه نحو بوابة صالة (6) المخصصة لدور النشر المحلية في معرض الكتاب الدولي.

وقبل دخوله إلى هناك استوقفه أحد الأشخاص مُلقيًا عليه التحية، وباغته بسؤال غير متوقع:

- أستاذ صالح... هل كل شيء على ما يرام؟ أزعجتنا تلك الأخبار عن مقتل ثلاثة من المؤلفين من زملائكَ الذين وجدوهم صباح أمس؟

نظر له بعد اهتمام كبير محاولًا اختصار الحديث كونه لا يعرف هذا الشخص، وأجابه قائلًا:

- خبر مزعج... وأتمنى أن يتغمدهم الله برحمته.

لم يفهم ذلك الرجل الذي كان يسير خطوة بخطوة مع الكاتب الشهير (صالح عبدالرحمن النعمان) متجهينِ نحو الباب، إيحاءاته

تؤكد عدم رغبته في الكلام، ولكنه استمر وأكمل قائلًا:

- هل كانت هناك علاقة تربطكَ مع الضحايا؟

لم يلتفت (صالح) نحوه وأجاب:

- كانوا مجرد زملاء، تعرفت عليهم من خلال معارض الكتاب.

كانت إجاباته مقتضبة، لم يفكر لحظتها سوى في كيفية التخلص من هذا المتطفل، والوصول في أسرع وقت ممكن إلى الجناح الخاص بدار النشر التي كانت تنشر كتابه، أكمل الرجل حديثه قائلًا:

- عليكَ أخذ الحيطة والحذر، على ما أظن هذا القاتل أغلب ضحاياه من المؤلفين... الأمر ليس بالصدفة موت ثلاثة مؤلفين في يوم واحد... لا أريد أن نخسر كاتبًا مشهورًا بجودتكَ.

انتبه هنا (صالح عبدالرحمن) لكلماته تلك وتوقف فجأة والتفت ناحيته وقال:

- لن تكون حريصًا عليّ أكثر من نفسي... لدي القدرة على التعامل مع مثل هذه الظروف، وعلى حسب خبرتي هذا القاتل غبي استطاع الإفصاح عن نواياه وضحاياه بسرعة كبيرة ولم يترك مجالًا للشك أو الظنون.

بعد الانتهاء من تلك الجملة دخل صالح إلى الكشك الخاص بدار نشره، وكان هناك عدد من المرحبين به، بينما اختفى ذلك الرجل بين الناس القليلين الذين كانوا يتجولون في المعرض.

جملة ذلك الرجل كان لها وقع ثقيل على نَفْسِ (صالح) الذي كان

يُفكر فيها بجدية، يريد أن يفهم هل بالفعل هو أحد المستهدفين، أم أن القاتل لديه مواصفات خاصة لضحاياه من الكُتّاب، قطع لحظة التفكير هذه صوت يعرفه (صالح عبدالرحمن) جيدًا:

- الطاقة السلبية تنتشر بالمعرض كالأوكسچين، بعد خبر مقتل زملائنا ليلة أمس.

كان وقتها (صالح) يجلس على أحد الكراسي، رفع رأسه ليجد الكاتب (مرزوق محمد) بجانبه، ورد على جملته متظاهرًا بعدم الاكتراث:

- جرائم القتل تحصل كل يوم، أتمنى أن يكون هذا الحدث مجرد صدفة.

جلس (مرزوق) على الكرسي الذي بجانبه:

- لا دخل للصدفة أبدًا...الضحايا مؤلفون، أو كما أراهم أنا مدعين كتابة، دخلاء عليها، وأنا كنتُ أشد المحاربين لهم، لكن لم أتمنَ يومًا أن تكون نهايتهم بهذه الطريقة.

قطع هنا أحد العاملين بدار النشر حديثهم وقال:

- أستاذ مرزوق لديكَ زائر يتمنى لكَ التوفيق ويطلب منكَ التوقيع على هذا الإصدار باسم (سامية).

كان وقتها (صالح عبدالرحمن) الذي يجلس كالطاووس ينظر بحدة إلى (مرزوق)، وقال هنا بعد أن انتهى من توقيعه:

- وهل ترى أن الركود الحاصل في المعرض سببه هذه الجرائم؟

أجابه (مرزوق) بثقة، وهو ينظر لجسمه الممتلئ:

- من الطبيعي أن يُخيم هذا الحدث الجلل على أجواء المعرض، المسألة مرتبطة بالموت مباشرة.

أكمل (صالح) حديثه وقال:

- مَن برأيكَ سيكون الضحية القادمة؟

ابتسامة مصطنعة على وجه (مرزوق)، الذي طلب من (صالح) لحظة من الوقت لأن هناك أحد الأشخاص يريد التوقيع على كتابين، وفور انتهائه مما كان يفعله ردَّ عليه قائلًا:

- مجال الأدب أصبح ساحة كبيرة للعديد من هؤلاء المرتزقة الذين يرون أنه أسهل الطرق للشهرة ودون دفع أية تكاليف، يتسلقون على أغصان الثقافة كالقردة الجائعة، وكما قلتُ لكَ في وقت سابق... المؤلفون المميزون هم مَن يدفعون حساب هذا النوع من الكُتّاب؛ إذا كان القاتل يريد تصفية هذه الفئة من الممكن أن تسمع خلال شهر عن عشرين ضحية أخرى، فكما تعرف هناك مدعون كُثر من هذا النوع، يظهرون لنا في أشكال مختلفة، منهم فانشيستات يريدون كتابة سيرهم الذاتية المليئة بالفشل وتلميعها بكتاب محتواه بطولات زائفة، ويوتيوبر سال لعابه على الأموال التي تدر من خلف الكتب والمعارض، متسلحًا بجمهوره وغالبيتهم ليسوا بقراء، وهناك المتطفل الذي لم يقرأ كتابًا في حياته، وزار معرض الكتاب بالصدفة ورأى هذه البهرجة كلها على بعض المؤلفين فقرر أن يكتب كتابًا لا يحمل مضمونًا ولا معنى، معللًا ذلك بأنه قد قرأ كتاب عن تفسير الأحلام في صغره.

قطع وصلة حديثه العامل بدار النشر مرة أخرى طالبًا من (مرزوق) التوقيع على ثلاثة إصدارات، وخلال ساعة كاملة أو بالأحرى منذ لحظة وصول (صالح) لم يطلب أحد منه توقيعًا واحدًا، وبعدها وقف الكاتب (مرزوق) وقال:

- أستأذنكَ يا صديقي، فبَعد أقل من نصف ساعة ستبدأ ندوتي المقامة على مسرح المعرض، لمناقشة أثر أدب الجريمة على الساحة الأدبية.

هز (صالح عبدالرحمن) رأسه متفهمًا كلامه، بينما دماغه يعج بالصراعات الداخلية، مظهره العام يخفي خلفه بعثرة عقلية مشتتة، يريد معرفة أسباب تراجع مبيعاته وأفول نجمه، كونه أصبح غير مطلوب والناس بدأت تهجر كتبه، بينما الغيظ يملأ قلبه بسبب توافد الناس على زميله وخصمه (مرزوق) الذي أصبح يفوقه في النجاح والتطور.

عاد (صالح عبدالرحمن) في هذه اللحظات إلى الماضي، متذكرًا قبل سبع سنوات كيف كانت القاعات تعج بالزوار، والحشود الكبيرة التي تتزاحم وتتمنى أن تحصل على توقيعه، كيف كانت العروض تنهال عليه من العديد من دور النشر؛ كي تكسب وده، يتذكر بحسرة عدد الطبعات الخاصة بإصداراته والتى تزيد عن عشر طبعات فى الموسم الواحد، وكيف كان الإعلام يتهافت عليه من أجل لقاء واحد أو تصريح بشأن عمله الجديد.

أما اليوم كل شيءٍ قد اختلف، الشهرة التي كان ينغمس فيها كقطعة من البسكويت تذوب في كأس الشاي أصبحت جافة،

كالبيداء التي تبيد كل مَن يعيش بها، ينظر إلى أناقته التي يهتم بها كثيرًا وما فتئت أن تكون كالستار الذي يخفي فشله.

أخذ نفسًا عميقًا، وتذكر قبل لحظات (مرزوق محمد) الذي سحب البساط من تحت قدميه، وأضحى هو أحد أفضل المؤلفين في الكويت، والجماهير رغم الظروف الصعبة الحالية -لا تزال- تريد توقيعه، بالمقابل هو موجود في المعرض لأكثر من ساعة ولم يطلب منه أحد ذلك.

نهض من مكانه يريد إخفاء هذا الفشل كله، الانسحاب أفضل ألف مرة من الحالة التي هو عليها الآن، ينظر للوجوه التي حوله لم تعد تهتم به، كأنه حشرة عالقة على أحد الحيطان، كان الغيظ والحقد والحسد يملأون صدره، فهو لن يقبل هذه الهزيمة، ولا يريد أن يحل أحد مكانه، في الوقت ذاته عليه الاستمرار وإيجاد حلول كي يعود متوجًا بإكليل النجاح على عرش المجد مرة أخرى.

وقبل أن ينتهي من تلك الهواجس وخزعبلات الخيال سمع أحدهم ينطق باسمه، تهللت على وجهه تباشير الفرح والتفت ليجد أحد أفراد الشرطة يُلقي التحية عليه ويقول له:

- أستاذ صالح... آسف لإزعاجكَ... معكَ الضابط (عبدالله يوسف)، نحتاجكَ لبعضِ من الدقائق، إن كان هذا لا يضايقكَ.

8

- اسمكَ (صالح عبدالرحمن) كما هو مدوّن لدينا، وعلى ما أظن أنك تكتب منذ أكثر من عشرين عامًا، ولديكَ العديد من القراء سواءً في الكويت أو خارجها؟

هذا ما ورد على لسان الضابط (عبدالله) المكلّف بالتحقيق في ملابسات القضية، والكشف عن السفاح.

صمت (صالح) قليلًا وكان ينظر له بشرود ثم أجاب:

- بالفعل كما قلتَ... وحتى أكون أكثر دقة أكتبُ منذ اثنين وعشرين عامًا، عندما كان الناس لا يقرأون؛ وأنا وحدي من جعلتهم يعودون مرة أخرى للقراءة بسبب التغير الذي قمتُ به والطريقة الفذة التي أكتب بها، فجميع مَا تراه الآن ما هو إلا تقليد أعمى لي، القراءة كما تعرف تطورت كثيرًا، لم تعد كما السابق.

توقف الضابط (عبدالله) عن الكتابة ثم نظر له بنظرة حادة وقال:

- هذا يعني أنني أمام أحد أفضل المؤلفين في الوطن العربي الذين لا يشق لهم غبار... لقد اختصرتَ علينا أسئلتنا.

وجه (عبدالله) نظره لزميله (سلمان) ثم قال:

- كم نحن محظوظان يا سلمان كوننا حظينا بلقاء أبرز كاتب في المنطقة، واعذرنا كوننا نقوم بالتحقيق معكَ في هذا المكان، كما تعرف صباح أمس عثرنا على ثلاثة جثث وكلهم من المؤلفين، وليس لدينا متسع من الوقت وما نريده كله الآن هو القبض على الجاني،

وكونكَ كاتب فأنتَ مهدد أن تكون ضحية... اعذرني على صراحتي فوظيفتي تُحتّم عليّ ذلك.

شعر (صالح عبدالرحمن) ببعض التوتر، ثم قال:

- الذي فهمته من حديثكَ أن هناك احتمال كبير بأن أكون ضحية أو فريسة للقاتل كما تقول.

هز الضابط (عبدالله) رأسه بالموافقة وقال:

- هذا حتمي... قاتلنا لا يشتهي إلا المؤلفين، ونحن هنا نريد حمايتكَ، واستجوابكَ لا يعني أنك متهم، لعلنا من خلال الكلام معكَ نمسك طرفَ خيطٍ يدلنا على هذا الوغد الطليق.

دار برأسه (صالح) في المكان ثم استدرك وقال:

- هذا هو أحد الأسباب التي جعلت المعرض في هذه الليلة وهو إلى حدٍ ما يعتبر خالٍ من الزوار، وهذا السبب الرئيسي الذي جعلني لا أقوم بالتوقيع كثيرًا.

ابتسم الضابط (عبدالله) بتهكم وقال:

- هذا الذي يهمكَ الآن! أنك لا تُوقّع كثيرًا على مؤلفاتكَ... يبدو أنك لا تدرك مدى الخطورة المحاطة بكَ، افهمني جيدًا هناك ثلاث ضحايا من المؤلفين، وهذا يعنى أنك مستهدف، ابتعد عن هذا التفكير السخيف.

عمّ الصمت قليلًا في المكان، ليستدرك بعدها الضابط (سلمان) الموقف ويسأل (صالح):

- بما أنك الأكثر شهرة في الوقت الحالي، هل سمعتَ أو نُقل لكَ أن هناك مشاكل تدور بين زملائك؟ أو أن أحد قرّائك أخبركَ بأن هناك مشاكل بين المؤلفين بعضهم البعض، أو مع أصحاب دور النشر؟

اعتدل (صالح عبدالرحمن) ثم قال:

- المشاكل كلها التي تدور بين المؤلفين عادية جدًا، ولم تصل إلى حد القتل، كوني أعمل في هذا المجال منذ زمن طويل، ومن خلال خبرتي أبعد ما تصل إليه تلك المشاكل هي المشاجرات وبعدها ينتهي كل شيء... إما بالتجاهل أو الصلح.

قال هنا الضابط (عبدالله):

- هل لديكَ أعداء في الوقت الراهن، أو تعتقد ذلك؟

أجابه (صالح) بعد برهة من التفكير وقال:

- بصراحة وعلى وجه التحديد... في الكويت ليس لدي أعداء واضحين، وبما أنني المتربع على عرش الأفضلية فلا يوجد أي كاتب لديه القدرة على مجاراتي، وأغلبها غيرة أدبية تحدث ما بين المؤلفين كما ترى.

عاد (صالح) لصمته لكن عينيه كانتا تخفيان خلفها العديد من الكلام، قال (عبدالله):

- يبدو أن لديكَ شيئًا تُخفيه؟

أكمل (صالح) كلامه بتوجس وقال:

- لا أخفيك سرًا... فالوضع كما تقول لا يحتمل الكثير، الأعداء

أغلبهم من مؤلفين خارج الكويت، وبالتحديد من مؤلفين عرب، قاموا بشن حملات شرسة خلال السنتين الماضيتين، وكان الهدف منها إسقاطي من عرش الكتابة الذي تُوجت به من جيش قرائي الغفير؛ مما جعل مبيعاتي تهبط بشكل واضح؛ بل إنهم أصبحوا يقارنوني بكتّاب من الدرجة الثانية، وبعض الأحيان يجعلونهم الأفضل.

قال الضابط (سلمان) مقاطعًا إياه:

- هذا يعني في الكويت ليس لديكَ أي منافس؟ وكما استنتجتُ من حديثكَ... أغلب المؤلفين في بلادنا عاديين جدًا، رغم أنني سمعتُ أنَّ هناك مَن هو أفضل منكَ.

أثار كلام الضابط (سلمان) حفيظة (صالح) الذي وقف وعيناه تشتعلان غضبًا:

- نعم كما أقول لكَ... لا يوجد في الوقت الحالي في الكويت مَن هو أفضل مني، وما تُقل لك كله غير صحيح، أعداء النجاح كثيرون ويريدون الإيقاع بي بقوتهم كلها، أنا هنا الأفضل ولن تجد كاتبًا لديه مبيعات أكثر مني، من الممكن أن تزور المعرض الليلة في المساء وترى اصطفاف القراء لكي يحصلوا على توقيعي فقط، أما الباقين ما هم إلا نسخ رديئة مني.

قال الضابط (عبدالله) محاولا تهدئة الأمور:

- هدأ من روعك يا رجل، ما قاله زميلي كله لا يتعدى تساؤلات الغرض منها التأكد من صحتها، ودعنا نتكلم بكل وضوح بعيدًا عن

أنفتك يا (طه حسين) الخليج، لا يهمنا مَن هو الأفضل في الوقت الراهن، وما نريده كله هو أن نصل لهذا القاتل، ابتعد عن غرورك الحالي وركز على ما نقوله.

ساد الصمت مرة أخرى بعد أن جلس (صالح) على كرسيه، ثم استطرد الضابط (عبدالله) في حديثه مرة أخرى وقال:

- عزيزي صالح... هل تعلم أن القاتل كان قاسيًا جدًا ومؤلمًا في التعامل مع ضحاياه؟ لقد قطع أيديهم ومن ثَمّ ألسنتهم وقام بنحرهم من الوريد للوريد، وأنت تتحدث عن أمور بعيدة البعد كله عمّا نريد أن نصل إليه، لا نريد أن تكون مكورًا في حقيبة سفر بالية ويكتب فوقها: (هنا يرقد أفضل كاتب في الوجود)، افهم جيدًا مبتغانا.

ابتلع (صالح) ريقه ثم قال:

- هل ما تقوله حقيقي؟ هكذا فعل القاتل بهؤلاء المؤلفين؟ ما تقوله فعل مشمئز لا يكون على أرض الواقع إلا من خلال كتبنا التي نكتبها، أو من خلال مشاهدتنا للأفلام الرعب، كم أنا متعاطف مع أهالي الضحايا! وأتمنى من الله أن يلهم ذويهم الصبر والسلوان.

ابتسم (عبدالله) باستهزاء وقال:

- يبدو أنكَ بدأتَ الآن تفهم فجاعة المصيبة، وأدركتَ أن الحدث ليس بسبب قلة مبيعاتكَ؛ بل هو أكبر من ذلك... دعنا نكمل التحقيق معكَ، وصارحني... هل تشك في أحد سواءً من المؤلفين أو القراء، لديه الميول الواضحة على فعل ما ذكرتُه لكَ سابقًا؟

كانت عينا (صالح) وقتها على أحد الزوار الذي يمسك بأحد

مؤلفاته ثم قال:

- هل انتهى التحقيق معي؟

رمقه (عبدلله) بحدة وهو ينظر لمسار عيني (صالح) وقال:

- يبدو أنك -إلى الآن- تسبح بعيدًا في تفكيركَ عما نريد الوصول إليه، لا أدري كيف تدور محركات عقلكَ.

لم يكترث (صالح) بكلامهما، ولا يزال يركز نظره على ذلك الزائر، ثم قال المحقق له بنبرة حادة:

- ركز جيدًا على أسئلتنا... أجب عليها... هل تشك في أحد المؤلفين أو القراء لديه ميول عدوانية؟

أجابهما (صالح) ببعضٍ من التوتر بعدما انتبه لهما من جديد:

- بصراحة لا... ليست لدي أية أسماء في الوقت الحالي، أنا لا أختلط كثيرًا مع المؤلفين كوني أقضي أغلب وقتي بمفردي، ومخالطتي للناس تكون من خلال المعارض فقط.

بعد أن انتهى صالح من نطق آخر من حديثه ذاك، حتى انطلقت صياحات مُحدثة جلبة واضحة من شخص بوسط دار نشر قريبة، وهو ما لفت انتباه الجميع في المعرض وبالأخص المحققينِ و(صالح عبدالرحمن)، وبعد دقائق من المشاجرة تكلم (عبدالله) بشيء من السخرية الواضحة:

- تتمتع بحُسن تركيز عالٍ وكل شيء في المعرض يهمك... ركز معنا قليلًا... ما نريده كله منكَ الآن أن تكون متعاونًا، وتُبلغنا بأيّ شيء

تراه يُثير الشبهات، حتى وإن كان تافهًا فهو يهمنا في الوقت الحالي.

قال (صالح) بنوع من الارتباك:

- لن أتردد لحظة واحدة... سأكون متعاونًا معكما قدر استطاعتي، هل انتهى التحقيق معي؟

أجابه (عبدالله) بعدم اكتراث وقال:

- نعم انتهى الحديث معكَ وليس التحقيق، وأتمنى ألا تخلط الأمور، وأن تكون حذرًا كما قلت لكَ سابقًا، أنتَ مُهدد أن تكون ضحية جديدة لهذا القاتل الذي يسيل لعابه لقطع الألسن وبتر الأيادي.

نهض (صالح) من مكانه متوترًا من كلمات (عبدالله) الأخيرة وقال:

- شكرًا لكما على اهتمامكما... وأتمنى أن تصلا للقاتل في أقرب وقت ممكن.

قال هنا الضابط (سلمان) مستدركًا:

- لحظة... هل تدلنا على المؤلفين المهمين الذين يوازونكَ في الشهرة والمهارة؟

أجابهم (صالح) وهو يهم بالرحيل:

- هناك العديد من المؤلفين في الكويت مميزيـن، وأعتقد أن مَن تبحثــون عنـه هـو الكاتـب (مرزوق محمد) و(عدنان حسين).

وبعدها رحل متوجهًا إلى ذلك القارئ الذي كان يُمسك بكتابه على الطاولة القريبة منهم، وقام بالتوقيع له.

قال الضابط (عبدالله) الذي كان يمسك بقلمه ويحركه بشكل دائريّ:

- لم نصل مع هذا النرجسي إلى أي شيء، ويبدو أنه يعاني من عِلة نفسية، وأظن أن نجمه قد أفل ويحاول أن يُبرهِن لنا أنه -لا يزال- في القمة.

لا يزال الصراخ البعيد يلفت انتباه (سلمان) الذي كان مركزًا معه وقال:

- المشاجرة الصوتية بهذه الدار تسترعي منا أن نفهم ما أسبابها، لعلنا نصل إلى أشياء جديدة.

9

كان الرجل يجلس على مقعد صغير، يهز رأسه بكل أسى، عيناه لم تبتعدا عن الأرضية، والغضب ينسال على وجهه كما العرق، قطع الضابط (عبدالله) هذه اللحظات المتعبة وقال:

- نحن نعتذر منكَ... ونعلم أنكَ في وضع غير جيد بسبب المشاجرة التي حصلت معكَ قبل قليل مع الشخص الذي رحل، وكما فهمنا من الإخوان أنك صاحب دار النشر هذه، وقبل كل شيء أود أن أعرفكَ بنا، معك الضابط (عبدالله) وهذا زميلي الضابط (سلمان)، وأعتقد أنكَ على علم بالجريمة التي حدثت ليلة أمس بشأن مقتل ثلاثة مؤلفين، ونريد من حضرتكَ مساعدتنا ببعض المعلومات.

اعتدل في مقعده بارتباك وقال:

- تشرفتُ بكما وأنا على أتم الاستعداد لخدمتكما بأي شيء.

سأل الضابط (سلمان) هنا وقال:

- هل من الممكن أن تُعرفنا عن نفسكَ أولًا؟

رد عليه الرجل بانتباه شديد:

- معكَ (فهد العدال)؛ صاحب دار نشر البيان التي تجلس بداخلها الآن.

سأله الضابط (عبدالله) قائلًا:

- هل لكَ أن تشرح لنا سبب المشاجرة التي علا ضجيجها قبل قليل بينكَ وبين الشخص الذي رحل، ومَن يكون؟

لا يزال الأسى يلوح من عيني (فهد) وأجابه:

- الشخص الذي تشاجرتُ معه قبل قليل هو أحد مؤلفينا الذين وقعنا معهم مؤخرًا، ويعتقد أن الدار لا تقوم بعملها على أكمل وجه وهذا من منظوره الشخصي، بسبب عدم وجود كم كبير من مؤلفاته، ويظن أن سبب عدم انتشاره هو قلة اهتمامنا به، ولا يدري أن لا دخل للكمية في البيع، وأقام الدنيا وأقعدها على رأسي كما ترى بذلك الصراخ؛ لأننا لم نحضر أكثر من مئة نسخة من كتبه.

قال الضابط (عبدالله) هنا:

- هل هذه أغلب المشاكل التي تواجهكم مع المؤلفين؟

أجابه وهو يحاول استجماع أفكاره:

- لا... فمشاكل المؤلفين لا تنتهي عند هذا الحد، إنهم لا يدركون حجم المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقنا، يظنون أن وبمجرد طباعة الكتاب ووضعه على الطاولات في المعارض والمكتبات سيباع بلمح البصر، نحن لدينا مسؤوليات كبيرة ليست مرتبطة فقط بالبيع، هناك طباعة وتخزين ونشر وشحن وغيرها من تلك الأمور، وعلى الكاتب -أيضًا- مسؤوليات أخرى منها التسويق لكتبه، لكن أغلبهم يتسمون إما بالعنجهية التي تستكثر وجودهم مع جمهورهم في المعرض، أو الكسل الذي يجعلهم ينامون في بيوتهم وبعدها يتذكرون أن لديهم كتبًا تحتاج للاهتمام، وعندما يُدركون الواقع يُلقون الملام كله علينا.

قطع الضابط (عبدالله) حديثه وقال:

- حتى هذه اللحظة لم تُجب على سؤالي، ما المشاكل التي تواجهكم مع المؤلفين؟ هل هي مرتبطة فقط مع دار النشر؟

رد عليه ببعض من التهكم:

- بصراحة أغلب المؤلفين الذين نتعامل معهم ما هم إلا مرضى نفسيين، كل كاتب يظن نفسه أنه الأفضل والأجمل، ويعتقدون أن سبب عدم انتشارهم منوطٌ بكمية الطباعة، وطبعًا لن تكون المشاكل مرتبطة مع دار النشر، هناك حروب خفية عديدة تحدث ما بين المؤلفين أنفسهم؛ غيرة أدبية بسبب انتشار ذاك وعدم انتشار هذا، وطبعًا مَن الضحية هنا، دار النشر... وهذا لا يعني أن كل دور النشر مغلوبة على أمرها؛ بل على العكس تمامًا، هناك العديد منها تستغل الكاتب وتراه بقرة حلوب تحاول أن تمتصه سواء بالطباعة أو البيع، عليّ أن أكون عادلًا فيما أقول، غير ذلك النّسب التي تُعطى للكاتب ليست كافية لكي يحظى بالأرباح التي تشجعه على الاستمرارية في هذا المجال.

قاطعه مرة أخرى الضابط (عبدالله) وقال:

- أعتقد أنك سمعت الخبر بمقتل ثلاثة مؤلفين ليلة أمس، إذا كان لديك أي شيء مفيد أتمنى أن تخبرنا به.

قال صاحب دار النشر:

- لقد آلمني كثيرًا ما سمعته، والخبر كما تراه ملقي بظلاله على المعرض الذي بات خاليًا من الزوار، وتناقل الجميع أقاويل عن مدى بشاعة الحدث، لا ندري ما الدوافع التي جعلت القاتل يقوم بهذا

الفعل، الأمر لا يصل إلى القتل.

قال هنا الضابط (عبدالله):

- حتى هذه اللحظة لم نستفد منكَ شيئًا، سوى أننا عرفنا بعض المشاكل الحاصلة بين المؤلفين ودور النشر، نحن نبحث عن أية معلومات عن هذا القاتل تفيدنا في كشف عن هُويته؛ ليتسنى لنا القبض عليه قبل أن يرتكب جرائم جديدة، وأنتَ بدورك تسألنا الأسئلة نفسها التي نسألها لكَ.

فَهِم صاحب دار النشر أن الوضع ليس استجوابًا على المشكلة التي حدثت بينه وبين المؤلف قبل قليل وأجابه ببعض من التوتر قائلًا:

- صدقني أتمنى مساعدتكما... لكن في الوقت الراهن لا توجد لدي أية معلومات مفيدة، فأنا لم أتخطى صدمتي من هذا الخبر المروع.

سأله الضابط (سلمان) مجددًا وقال:

- من الواضح أنك لم تفهم ما نصبوا إليه، نريد منك أية معلومات حتى لو كانت عادية، أو شكوك عن أي أحد لديه دوافع أكبر من التي ذكرتها وتصل إلى القتل.

نظر صاحب دار النشر (فهد) إلى أعينهما بتوجس وهو يحاول أن يتظاهر أمامهما بأنه يفكر وقال:

- لا يوجد لدي أية شكوك، حياة المؤلفين الخاصة لا نعلم عنها إلا الشيء القليل، ولا أرى أي كاتب أعرفه له دوافع عدوانية، من الممكن أن تسأل المؤلفين لعلكَ تصل إلى نتيجة.

كانت ملامح عدم الرضا واضحة على وجه الضابط (عبدالله) وسأله بطريقة مختلفة هذه المرة:

- برأيكَ كم هو عدد المؤلفين في الكويت؟

رفع عينيه إلى أعلى كأنه يريد إحصاءهم بذاكرته وقال:

- إن كنتَ تسأل عن عدد المؤلفين داخل الكويت، فالرقم في ازدياد مستمر، فكل يوم يظهر لنا على الساحة كاتب جديد، ولكن إن أردت ذلك على وجه حصر الكُتّاب الذين يستحقون هذا اللقب، ولأكون متفائلًا فهم لا يتجاوزون العشرين كاتبًا ومن الممكن أن يصل عددهم إلى الثلاثين، وربما العدد نفسه بدول الخليج أما في الدول العربية فهو أكثر بكثير عن ذلك، كل سنة يُصدر أكثر من ثلاثمئة كتاب.

ابتسم الضابط (عبدالله) بتهكم وقال:

- إذا أردنا أن نقومَ بالتحقيق مع هذا العدد من المؤلفين سنحتاج إلى عام كامل كي نحصرهم جميعًا... افهمني يا رجل... نحن نريد العدد الذي من الممكن أن نخرج منه بنتائج تصل بنا إلى القاتل، بالمناسبة... أنتَ تعرف أسماء الضحايا الذين قتلهم سفاح الكتب، هل تعتقد أنهم جديرون بالحصول على لقب مؤلفين أو كُتّاب؟

توقف هنا (فهد) وبدأ ينظر لهم بعينين حائرتين وقال:

- بكل وضوح وصراحة عدد المؤلفين الحقيقين من وجهة نظري الخاصة لا يتعدى عدد أصابع اليد الواحدة، أمّا الباقين فهم مجرد دخلاء على هذه المهنة التي باتت تجذب (كل ساقط ولاقط) يرى

أن الكتابة هي أسهل طريق للشهرة، أذكر أن أحدهم قال لي: (كل مَن كتب جملتين جميلتين ظن نفسه كاتبًا فذًّا يساوي نجيب محفوظ أو ستيفن كينغ)، وهذ بالفعل ما يحصل الآن، غير ذلك فما يُطلق عليهم فانشيستا أو يوتيوبر، فهؤلاء استغلوا الكتابة لأنهم يعلمون أنها الطريقة السهلة لزيادة أرصدتهم بحجة كثرة جماهيرهم، حتى نحن أصحاب دور النشر بتنا نهتم بهذه النوعية وقبل التوقيع مع أي كاتب ننظر إلى عدد متابعينه، اعذرني فنحن دار نشر تجارية تريد الربح السريع أيضًا، ولاكون صريحًا معك فأنا لا أشتبه في أحد له القدرة على فعل تلك الجرائم.

عاد الضابط (عبدالله) إلى تعليقاته وقال:

- هذا يعني أن القاتل الذي نبحث عنه لديه كمية كبيرة من الفرائس من السهل الانقضاض عليها، بسبب كثرة المؤلفين المضروبين أدبيًا.

ثم التفت إلى زميله (سلمان) وقال:

- نحن موعودون بمجزرة أدبية يا سلمان... المؤلفون أغلبهم مجرد أقلام مملوءة بالحبر بيد طفل لا يتعدى الخامسة من عمره.

ابتسم الضابط (سلمان) وقال:

- هل لكَ أن تعطينا عدد الأسماء التي تظن أنهم مؤلفين حقيقين، نحتاج إلى تعاونكَ معنا.

ردّ عليه (فهد) وعلامات الارتياح باديةً على وجهه:

- بكل سرور هذه المهمة سهلة جدًا.

وهمّ بعدها بذكر الأسماء التي يراها صاحب دار النشر أنهم يستحقون لقب مؤلف، وبعدما انتهى من ذلك، قال الضابط (عبدالله):

- قبل أن ننهي حديثنا معكَ هل من الممكن أن تعطينا أيضًا معلومات عن هؤلاء المؤلفين الذين ترى أنهم يدعون الكتابة؟

صمت قليلًا، ولم يجب، وبعدها رفع صاحب دار النشر كتفيه وبالوقت نفسه مط شفتيه بعدم معرفته، وهذا ما لديه كله من معلومات.

شكراه على تعاونه على ما ذكره كله وهمّا بالرحيل، وأثناء سيرهما في المعرض كانا ينظران لكل شاردة وواردة، لعلهما يصلان في النهاية إلى نتيجة، كان الوضع العام سلبيًا كما هو واضح للعيان، قال الضابط (عبدالله) في هذه اللحظة:

- لا يزال الوضع سوداويًا كما ترى، علينا الآن التحقيق مع أغلب المقربين من الضحايا، وأيضًا التحقيق مع المؤلف (مرزوق محمد)، و(عدنان حسين) والأسماء الأخرى.

هز الضابط رأسه (سلمان) موافقًا زميله وقال:

- النتيجة التي توصلنا إليها أن هذا العالم مليء بالمرضى النفسيين كما ترى، وهناك معارك تنتشر فيما بينهم وهذه كلها دوافع واضحة على أن يقوم هذا المجرم بقتل ضحاياه، المريض النفسي حتى يصل إلى النهاية تصبح الأمور كلها لديه سيان والقتل حلًا واضحًا لإبعاد منافسيه.

توقف الضابط (عبدالله) ونظر له قائلًا:

- هذا يعني أن القاتل من الممكن أن يكون كاتبًا؟

أجابه الضابط (سلمان) وقال:

- ليس بالضرورة أن يكون مؤلفًا، هناك احتمال أن يكون قارئًا، أذكر أنني قرأت قصة قصيرة لكاتب أمريكي يُدعى ستفين كينغ على ما أعتقد اسمها (بؤس)، عن قارئة مريضة نفسية احتجزت كاتبها المفضل في بيتها، عذبته وكادت أن تقتله بسبب أنها لم تكن معجبة بموت بطل الرواية التى يكتبها، وهذا من الممكن أن يكون دافعًا للقارئ الذي لم تعجبه قصة من قصص المؤلفين، واضطر بعدها لقتل ضحاياه بحسب دوافعه النفسية، وربما أيضًا يكون القاتل خارج الفئتين اللتين ذكرتهما... الاحتمالات كلها مفتوحة يا صديقي.

وضع الضابط (عبدالله) يده على ذقنه مفتلًا بعضًا من شعيراته، وهو يستجمع أفكاره قائلًا:

- على حسب المعلومات التي جمعتها، فإن أغلب المؤلفين يكتبون في مجال أدب الجريمة والرعب سواءً كانوا من المميزين أو المدعين، وهذا يجعل الدائرة تتسع لأن يكون القاتل من القراء، وهو يضعنا أمام مواجهة صعبة ومعقدة كثيرًا، كون القراء أكبر عددًا من المؤلفين... هذه مصيبة يا رجل.

تنفس بعمق ثم أكمل حديثه:

- حتى هذه اللحظة لم نصل إلى أي خيط مهم، كأننا نبحث عن مفتاح في وسط المحيط، ومخاوفي كلها أن سفاح الكتب يواصل

عمليات قتله للمؤلفين، لا أريده أن يسبقنا بخطواته، يجب أن نكون نحن السباقون بذلك، علينا الآن نشر مخبرينا في المعرض، ونوسّع دائرة تحرياتنا كي نصل إلى طرف الخيط المنشود.

10

- اسمك (ليلى ناصر) كما هو مذكورٌ أمامي، زوجة الكاتب واليوتيوبر الشهير (عبدالعزيز حمد)؛ أحد الضحايا الذين تم قتلهم من قِبل مجهول.

هزت رأسها بالإيجاب، ردًا على السؤال الموجه لها من قبل الضابط (سلمان)، كانت (ليلى) فتاة ناعمة المظهر، دقيقة الأنف، قصيرة ونحيلة القد، ذات بشرة حنطية، لم تكن بادية على وجهها أي من معالم الحزن، الوجوم وحده الذي كان مرسومًا على مُحياها.

سألها الضابط (سلمان):

- هل واجه (عبدالعزيز) مشاكل خاصة في عمله؟ ألم يخبرك عن أعداء له في مجاله، أو اشتكى من تهديدات في الفترة الأخيرة؟

أفاقت من شرودها حين وجه إليها السؤال، فرفعت رأسها وقالت:

- لا... لم يخبرني بأي شي من هذا القبيل، ولم يشتكِ من شيء عدا الوقت وكثرة الاتصالات والعروض التي ترده من الشركات وبعض الأفراد من أجل الإعلانات، وذلك بسبب نجاح كتابه الأخير الذي زاد من شهرته التي لم تقتصر على دول الخليج فقط؛ بل إنها شملت الوطن العربي بأكمله.

اعتدل (سلمان) في جلسته وسأل سؤالًا آخر وقال:

- كيف كانت علاقتكما الزوجية، بمعنى هل كنتما على وفاق؟ كونه شخصية اجتماعية مشهورة.

أجابت مباشرة ودون تردد:

- علاقة هادئة، هو كثير الانشغال بعمله، كما تعرف هو يوتيوبر وأغلب وقته يقضيه في كتابة رواياته، أو في التجهيز لمحتواه الذي سيقدمه في قناة اليوتيوب الخاصة به؛ ولهذا السبب خفَّ تواصلنا وحديثنا أصبح نادرًا خاصةً في الشهرين الأخيرين.

لم تكن إجابات (ليلى) مُقنعة كثيرًا للضابطين، سأل هنا (عبدالله) سؤالًا خاصًا:

- هل لى أن أسألكِ سؤالًا حساسًا بعض الشيء؟ وأتمنى أن تكون إجابتكِ واضحة بوضوح السؤال... علاقتكِ مع زوجكِ جيدة، هل كان يحبكِ؟

لاحظ (سلمان) بعض الارتباك على وجه (ليلى) والتي بدورها أجابت بحزم قاطع:

- نعم... لقد تزوجنا عن قصة حب قبل أن يكون مشهورًا، وعلاقتي به مبنية على الثقة المتبادلة.

عم الصمت بعد تلك الإجابة، ونظرات (عبدالله) المحاصرة تطوقها، بينما ليلى كانت تقاوم ذلك التوتر الذي ملأ قلبها، كون إجابتها لم تكن حقيقية، شردت بذهنها وهي تتذكر ما حدث بينها وبين زوجها قبل أسبوعين من مقتله، بعد أن كشَفَت خيانته لها.

***

قبل أسبوعين...

علت نبرة صوت (عبدالعزيز) وهو يحاول إقناع زوجته بوجهة نظره قائلًا:

- أنا شخصية مشهورة يا ليلى وكل يوم تُرسل لي العديد من الرسائل من المعجبات، ولا تربطني أية علاقة مع أية فتاة غيركِ.

فاضت عينا (ليلى) بالدموع، وهي توجه اتهاماتها المباشرة لزوجها (عبدالعزيز)، بعد أن كشفت محادثة غزلية بينه وبين إحدى الفتيات في أحد برامج التواصل الاجتماعي:

- إن كان كلامكَ حقيقي... بماذا أفسر هذه المحادثة التي رأيتها بعيني مع هذه الفتاة، وأنت تقول لها إنك تشعر بالراحة عند الحديث معها؟

أجابها مرتديًا قناع الكذب:

- هذه بعض المجاملات التي أقوم بها مع بعض الفتيات، حتى أظهر لها دماثة خلقي وذوقي في الكلام، وكما رأيتِ بعينكِ هي مندفعة ناحيتي وتريد أن تفتح حديثًا آخر معي، وعليّ أن أكون أكثر لباقة وأجيبها بهذا الأسلوب، ولا توجد علاقة مباشرة تربطني بها.

لم تكن إجابة (عبدالعزيز) مقنعة لزوجته، التي قالت بحدة وقد بان ذلك في ارتجاف صوتها:

- أتراني ساذجة كي أبتلع هذه الإجابة! كل كلمة منك تكشف ميولكَ نحوها، ولا أعلم إلى أي مدى مضيت في حديثكَ معها؟ لا أجد خطأً أو تقصيرًا ارتكبتُه يُبرر خيانتكَ وقسوتكَ معي بهذا الشكل.

رفع يده ولوح بها في ضجر، ثم نهض من مكانه وقال بنبرة ممتزجة بالاستياء:

- أنتن يا معشر النساء تفكرن -دائمًا- بالعاطفة ذاتها، عاجزات عن فَهم ما يدور في عقول الرجال، الشهرة ثمنها ثقيل، وأنا مَن يدفع ضريبتها، بينما تقومين أنتِ بتغذية شكوككِ التي لا أساس لها.

انفجرت الدموع من عيني (ليلى)، وقالت بصوتٍ يقطر وجعًا وغضبًا:

- المصيبة أنك تظن أني مغفلة لأصدق تبريراتكَ وأكذِّب ما رأيته بعيني، والمأساة الحقيقية الكبرى هي أن خيانتكَ لي لم تكن صدمة واحدة... بل جرحًا متكررًا فضح كذبكَ مرارًا.

***

في مركز الشرطة...

قطع الضابط (سلمان) لحظة شرود (ليلى) وقال:

- أين كنتِ ليلة وقوع الحادثة؟

أجابته وهي تحاول لملمة شتاتها وتجميع أفكارها:

- قبل يوم من مقتل زوجي، كنتُ مع بعض صديقاتي في الشاليه بمنطقة الخيران، وقد علمتُ بالخبر أثناء وجودي هناك، وإن كنتَ لا تُصدقني... لكَ أن تسألهن.

قاطعها الضابط (عبدالله) وقال:

- يبدو أنك غفلتِ عن أمر مهم في سؤالي، بعد تفتيش هاتف

زوجكِ رأينا بعض المحادثات التي كانت أغلبها شجار بينكما، بسبب كشفكِ لخيانته لكِ، لماذا لم تذكري هذا؟

توترت (ليلى) قليلًا بعد حديث (عبدالله) وقالت:

- سائد كثيرًا أن تكون هناك مشاجرات بين الأزواج.

ابتسم (عبدالله) بعدم تصديق وقال:

- وهل ترين أن شجاركِ معه كان شجارًا عاديًا كأي خلاف بين زوجين؟ إذن بماذا تفسرين تهديدكِ لزوجكِ بأنه إن لم يكف عن أفعاله تلك ستكون هناك عواقب وخيمة؟

ازداد خفقان قلب (ليلى) وأجابت:

- لا أنكر أنه قد قام بخيانتي في العديد من المرات، لكن من المستحيل أن يصل الأمر للقتل.

قاطعها (عبدالله) مرة أخرى وقال:

- لكنه دافع واضح للقتل، بعض الأحيان النساء لا تعرف كيف تتحكم في مشاعرها، خاصة إن كان الأمر مرتبطًا بالخيانة.

ردت عليه بشراسة لبوة جريحة وقالت:

- لستُ من هؤلاء النساء، نعم هو زوج غير صالح، وتهديدي كان عبارة عن إنهاء للعلاقة بيننا، لم تطرأ في بالي ولو للحظة فكرة القتل.

تدخل (سلمان) في هذه اللحظة محاولًا تهدئة الأمور وقال:

- أتمنى أن تتحلي بقليل من الهدوء، تحقيقنا معكِ لا يعني أنكِ متهمة، ما في الأمر كله أننا نريد الوصول لبعض الخيوط التي من الممكن أن تفيدنا في سير القضية، واعذري زميلي على حدته معكِ، فالخيانة بمنظور عملنا تعتبر دافعًا للقتل، وإن ثبوت وجودك برفقة زميلاتك في الشاليه وقت وقوع الجريمة، يُعد دليلًا قاطعًا ينفي عنك أية شبهة، ويؤكد ابتعادكِ الكامل عن مسرح الأحداث.

انهارت بعدها (ليلى) بالبكاء وسط حالة من الصمت التي طغت في المكان، ثم قالت:

- من وجهة نظري (عبدالعزيز) يستحق القتل، لم يكن زوجًا صالحًا رغم حبي الكبير له في البداية، وأنا على استعداد تام للقسم أمامكما على أنني لم أكن أنوي أذيته بأي شكل من الأشكال.

حاول بهذه اللحظة (عبدالله) التدخل، لكن (سلمان) أوقفه بعد أن مد يده ناحيته ثم قال:

- سيدتي... الآن سننهي التحقيق معكِ، ومن المتوقع أن نطلبكِ للتحقيق مرة أخرى في المستقبل في حال استجدت أمور، واحتجنا لكِ.

نهضت (ليلى) من مكانها بعد أن وقّعت على المحضر، والتفت (عبدالله) بغضب إلى زميله وقال:

- كيف تتركها بهذه السهولة، كان لدي الكثير من الأسئلة من الممكن أن تقودنا إلى معطيات من خلالها نمسك بأطراف خيوط القضية.

أجابه (سلمان) بهدوء:

- ألا ترى حالتها النفسية، من الواضح أنها فتاة رقيقة، لا تحتمل كم هذه الضغوطات، ولا تنسى إنها لديها حجة غياب قوية.

قاطعه (عبدالله) بحزم:

- حجة غيابها ليست دليلًا على براءتها، من الجائز أنها أوكلت المهمة لشخص آخر.

رد (سلمان) بعد أن لاحت على وجه ملامح عدم الرضا وقال:

- (عبدالله) لا تربط عدم ثقتكَ في النساء بالعمل، أتمنى أن تعي هذا الأمر جيدًا، ناهيكَ أن حياة المشاهير وبالتحديد مَن يعملون فى عالم التواصل الاجتماعي، أغلبهم يعيشون قصصًا عاطفية بعيدة عن حياتهم الزوجية، ثم إنه لدينا بعض القرائن التي تبدو لنا قوية وبالوقت نفسه أراها ضعيفة، هذا في ما يخص زوجها، أما عن باقي الضحايا فأنا أستبعد بأن تكون هي القاتلة، ليلى ليست حادة الذكاء.

11

الأصوات من حوله تدور كأنها جراء ذئاب تلهث جوعًا، تنتظر أمها بكل شغف، لتعود من عتمة الليل الوحشي بفريسة، تشبع بها صغارها وتسد جوعهم، أما الحيطان الملونة التي كان يراها رمادية باهتة تخلو من الحياة، كانت شاهدة على أيام مريرة قضاها بوهن، ولا يزال ذاك الأنين الصادر من الأجهزة الطبية يواصل طنينه البالي.

ينظر لمدخل الغرفة المغلقة أمامه، بعينين تكادان تذوبان من الحزن، يتمنى لو أن أحدًا يفتح له الباب ليجدها، حتى ولو ممدة كما كانت في المرة الأخيرة، نائمة، غائبة عن الوعي، ساكنة من السقم، على أن تكون مدفونة تحت التراب.

وبيده يمسك بكيس صغير مملوء ببعض من الشطائر التي يحبها وكأنها كنزه، تلك التي كانت تعدها له كل صباح، عبارة عن مزيج عبثي من الجبن والطماطم والبصل، وجبته المفضلة، ذلك الكيس، وتلك الشطائر، هما ما تبقى كله له من ذكرى الصباحات وطقوس الماضي التي -ما تزال- تنبض بالحياة في ذاكرته من بقايا طيف أخته (فاطمة).

كان الضابط (عبدالله) يؤمن بأن زياراته اليومية للمستشفى ليست بمجرد عادة، لم يكن وفاءً؛ بل حاجة، طوق نجاة يُبقيه على قيد الحياة، وسلوته بعد أن دُفنت الحياة بعينيه برحيل شقيقته، الغرفة التي أمامه كانت تحتضن (فاطمة) أخته وهي تحتضر في أيامها الأخيرة، كان يعلق على جدرانها حبال الأمل المهترئة بأنها ستعيش عمرًا أكثر من عمره، وستحيا معه إلى أن يوارى جسده الثرى، إلا أن

الموت الذي لا يُهزم بالأماني، استغفله، وأستغل سذاجته، وداهمها بلا موعد، وبلا أية مقدمات ليخطفها منه، ووأد تلك الآمال الخائبة كلها.

يذكر جيدًا نظراتها الأخيرة إليه، حين ضمها بين يديه في يومها الأخير، كانت تودعه وداعًا حقيقيًا لا رجوع بعده، نقطة النهاية التي لا يعد بعدها شيء حي إلا الذكرى.

- أتعلمين يا أختي... لم أودعكِ كما يليق بكِ... لم أصرخ... لم أنهر... لم أتكلم، فقط سكتّ، ومنذ ذلك اليوم لم أعد أنا؛ منذ رحيلك، العالم فقد لونه، وصوتي بدا غريبًا في أذني... كأنني أحيا في جسم لا أعرفه... كنتِ الحضن الذي لا يخون وخنتكِ، والنور الذي لا ينطفئ فأطفأتكِ، والرفيقة التي لا تترك يدي حتى في عز الانهيار وتركت أنا يدكِ، كنتِ الأمان وكنتُ لكِ الإهمال.

رغم مرور عام كامل على رحيلها، يأتي كل يوم ويقف أمام الغرف الخاصة في المستشفى لبضع من الدقائق يملئ نفسه بتلك الذكرى ويرثيها بتلك الكلمات التي تحرق روحه من الداخل في كل مرة يهز رأسه بحزن شديد وعيناه تكادان أن تفيضا من الدموع، يشحذ الهمم وبعدها يخرج حاملًا ذكرياتهما معًا، يخيل لنفسه أنها -لا تزال- تعيش معه، حتى العاملين بالمستشفى اعتادوا على وضعه، وباتوا لا يكترثون بوجوده كونه أصبح من الرواد الدائمين.

وقبل رحيله بذلك الصباح البارد رن هاتفه من جديد، قطع تلك الطقوس التي يقوم بها كل يوم، إنه زميله الضابط (سلمان) في البداية تردد في الإجابة لا يريد أن يقطع تلك الحالة التي يعيشها، لكنه أدرك أنه لا بد أن يكون هناك أمر جلل جعل زميله يتصل به في

هذا الوقت، فكر قليلًا ثم قرر أن يرد عليه بعد أن يجلس على مقعد سيارته لكي يتناول شطيرته الجميلة لإكمال الطقوس الخاصة.

وما أن وصل إلى مركبته فتح شطيرته كأنه يريد احتضان حبيبته، قضم قضمة منها وعاد له ذلك الشعور الجميل قبل أن يضغط على زر الاتصال، ليقول لـ (سلمان) وفمه ممتلئ بالطعام:

- أية مصيبة جديدة تحملها يا غراب البين؟

أجابه (سلمان) دون أن يهتم لتهكماته وقال:

- ضحايا جديدة يا صديقي العزيز، أنهى تلك الشطيرة اللعينة وتوجه إلى العنوان الذي سأرسله لكَ عبر الرسائل.

توقف عن المضغ وأجابه بصدمة قطعت اللحظات الجميلة كلها التي يشعر بها وقال:

- ماذا تقصد بضحايا جديدة؟ هل هناك جريمة قتل أخرى؟

رد عليه بالحماسة نفسها وقال:

- كما قلتُ ثلاث جرائم قتل جديدة تم اكتشافها مؤخرًا، أو بمعنى أدق صباح اليوم في بر منطقة الصبية.

صمت (عبدالله) لثوانٍ يحاول ابتلاع الصدمة بمرارة وقال:

- هل أنتَ متأكد مما تقول؟ كيف ربطت هذه الجرائم بالقاتل الذي نبحث عنه؟

أجابه زميله وهو يحاول أن يختصر حديثه:

- المعلومات الأولية التي وصلت لي جميعها تشير إلى أن الفاعل هو نفسه، حاول أن تُسرع بالمجيء نحن أمام مصيبة كبيرة كما سمعت.

أغلق (سلمان) الهاتف بينما ظل (عبدالله) صامتًا يريد استيعاب ما سمع، التكهنات كلها التي كان يتنبأ بها، حصلت على أرض الواقع والقاتل مستمر بممارسته لهوايته في إزهاق الأرواح، السفاح سبقهم هذه المرة بخطوات، فلم يمر أكثر من ثماني وأربعين ساعة على الجرائم الأولى.

انطلق بسيارته مسرعًا للمكان الذي أرسله له زميله عبر الرسائل، يريد التأكد مما سمعه لعلها كانت صدفة غريبة لا أكثر ولا أقل.

***

في ساحة صحراوية، وبالتحديد في منطقة الصبية، وبمكان مكشوف تمامًا، وصل الضابط (عبدالله)، لم يكن هناك سوى مركبات الشرطة وبعض السيارات المدنية تنتشر بالمكان، ترجل من سيارته سائرًا بخطوات ثابتة يريد كشف المكان بشكل جيد، ليلمح من بعيد زميله (سلمان) واقفًا وهو يتكلم مع أحد أفراد الشرطة وعلامة الذهول بادية على ملامحه، وقبل وصوله لمح ثلاث حقائب كبيرة موزعة بمسافات ليست ببعيدة عن بعضها البعض، وبحسه الأمني فهم (عبدالله) أن مسرح الجريمة الذي يراه لا يختلف كليًا عن ذلك المكان الذي اكتشفوا به الثلاث جثث السابقة قبل يومين، الفارق الوحيد هو المكان، وقف خلف زميله موجهًا إليه أول تساؤلاته:

- لسان مقطوع وأيادي مبتورة؟

انتبه (سلمان) لجملته هذه ليلتفت خلفه ويجيبه:

- بالفعل الطريقة نفسها التي نُفذت بها الجريمة السابقة، والشيء الوحيد المختلف في ما بينهما هو أن بين الضحايا امرأة.

نظر (سلمان) ليد زميله (عبدالله) التي كانت تمسك بكيس يحمل بداخله شطيرة وأكمل حديثه:

-على ما أظن أننا أفسدنا عليكَ لحظاتكَ السعيدة، عادة سخيفة ليست لها أسباب واضحة.

وعيناه لم تفارقا ذلك الكيس وملامح عدم الرضا على وجهه، لم يجب (عبدالله) على كلمات زميله ثم سأله:

- مَن قام بإبلاغكم عن هذه الجريمة؟

أجابه صديقه وقال:

- أحد رعاة الأبل، كان موجودًا بدواعي عمله واكتشف تلك الجثث وأبلغ (كفيله) الذي بدوره اتصل على العمليات، وكما ترى الجريمة لا تختلف عن سابقتها.

تقدم (عبدالله) بخطوات ثابتة ناحية إحدى الحقائب ليفتحها ليجد ذلك الجسد الممتلئ محشورًا بداخلها وعلى صدره وضعت اليدين المبتورتين، وطبعًا كُتب على الحقيبة الجملة التي قرأها في المرة السابقة: (غير صالح للنشر).

دار بوجهه وقال لزميله:

- هل عرفتم هويات الضحايا؟

أجاب عليه صاحبه قائلًا:

- حتى هذه اللحظة لم نعرف مَن هم الضحايا، وعلى ما يبدو أنهم مؤلفون مثل القتلى الثلاثة السابقين.

سأله (عبدالله) مرة أخرى:

- ولماذا أنتَ متأكد أنهم مؤلفون؟ هل بت قارئًا شغوفًا تميز بين المؤلفين وغيرهم؟

أخذ (سلمان) نفسًا عميقًا ثم قال:

- الذي يؤكد لي أنهم مؤلفون الجملة التي علت تلك الحقائب، وهي رسالة واضحة من القاتل يريد إيصالها لنا بشكل صريح، بأن هؤلاء لا يستحقون أن يكونوا كُتّابًا، أو أنه يقوم بتحدينا بأننا لن نستطيع إنقاذ مَن يقع الاختيار عليه من الضحايا.

صمت قليلًا وأكمل حديثه:

- ما يحيرني الآن... هو أن من بين المغدور بهم توجد امرأة، ولم يجردها من ثيابها كما فعل مع باقي فرائسه، فهو احترم كينونتها كأنثى ولا يجوز تعريتها، إن قاتلنا ذا أخلاقٍ حميدة على ما أظن، وهذا ينافي نمطه في القتل.

في هذه اللحظات تسلل اليأس إلى قلب الضابط (عبدالله) الذي ظل صامتًا لدقائق عديدة، بينما يقوم الرجال حوله بتمشيط مسرح الجريمة يريدون اكتشاف أيّ دليل يوصلهم إلى القاتل، ثم قال بشرود:

- بالفعل... يبدو أنه قاتل نزيه يعرف حدود الله، لأنه ستر المرأة التي بينهم.

في هذا الوقت رنّ هاتف (عبدالله)؛ كان المتصل زميل له في المباحث، ردّ بصوت هادئ:

- أعرف أنهم اكتشفوا ثلاثة قتلى جدد.

أجابه زميله من على الطرف الآخر من الهاتف:

- أعلم ذلك... لكنني أود إخبارك بأننا اكتشفنا المكالمات الأخيرة للضحايا قبل موعد اختفائهم.

أجابه (عبدالله) ببرود واضح:

- ومن الحماسة التي أستشعرها من صوتكَ، أعتقد أنكَ ستقول إننا سنكتشف القاتل من خلال تلك الأرقام؟

رد عليه زميله بعدم رضا قائلًا:

- لا تزال على طبعك نفسه، التندر الذي -دائمًا- ما يوقعكَ في المصائب، نعم هذا ما كنت بصدد فعله... ربما نستطيع أن نصل من هذه الأرقام إلى دليل يوصلنا للمجرم.

لم يجبه (عبدالله)، ومد هاتفه ناحية زميله (سلمان) وقال:

- أكمل الحديث مع هذا المغفل، رأسي يكاد ينفجر من الأفكار والهواجس التي تتداخل مع بعضها، وهذا الغبي فرح لأنه اكتشف الاتصالات الأخيرة.

بعدها ظل واقفًا أمام الحقائب يراقبها بهدوء ظاهر للعيان، بينما

كان للغضب كلمة حازمة في نفسه، يصك على أسنانه من الغيظ كون القاتل لا يزال يتحداهم ويسبقهم بخطوات، وهذا من وجهة نظره تحدي سافر لهم، أثناء ذلك توجه ناحية سيارته وبعدها انطلق دون أن ينطق بكلمة وسط ذهول زميله (سلمان) الذي لم يعجبه هذا التصرف.

12

في مركز المباحث العامة، كان المكان يعج بعدد من أفراد الشرطة الواقفين كجدار سد بين بوابة المبنى الخارجية، وجمهور الصحافة الذين احتشدوا أمامه، بعد انتشار خبر اكتشاف ثلاث ضحايا جدد للقاتل الذي لقبوه بقاطع الألسن وسفاح الكتب، وسط مطالبات حثيثة بتصريح حتى يخرسوا تلك الشائعات التي باتت تنتشر من المسؤولين في وزارة الداخلية، الذين بدورهم فضلوا عدم البوح بأية كلمة والتكتيم الإعلامي على الخبر؛ لأنهم لم يحرزوا تقدمًا لأي شيء يوصلهم للقاتل، إلا أن الأخبار خرجت من جعبة سيطرة الشرطة لتصل إلى عامة الشعب.

كان الضابط (عبدالله) يجلس بهدوء في مكتبه الخاص، وأمامه يضع تلك الشطيرة التي أصبحت قدره الذي يلازمه في كل مكان، وفي الجهة المقابلة يجلس الضابط الذي اتصل به أثناء وجوده في مسرح الجريمة، وبدأ حديثه قائلًا:

- لقد تم استدعاء أصحاب الأرقام الثلاثة بعد التواصل معهم بشأن الضحايا الثلاث الأوائل.

تحدث (عبدالله) وقال:

- إن هذه الأرقام الذين تشكون فيها مملوكة لثلاثة أشخاص مختلفين، وهذا يعني أن الاتصال الذي ورد منهم كان عشوائيًا كما أرى، والأمر الآخر أن أصحابها من جنسيات آسيوية، وهذا ما يجعلهم مستبعدين بأن تكون لهم صلة بالجرائم، وهذا يجرنا إلى أمر آخر

أكثر تعقيدًا؛ القاتل ليس بهذه السذاجة كي يترك هذه الدلائل الغبية كلها خلفه.

أجابه زميله الشرطي:

- بالفعل كما تقول... ليس أمامنا سوى التحقيق معهم لعل أحدهم يدلنا على هُوية القاتل.

قال (عبدالله) وهو يضع يده على رأسه:

- هذا الملعون سيدخلنا في ألف دهليز ودهليز، إنه يلعب معنا بطريقة الكلمات المتقاطعة، لن يتركنا نصل إليه بسهولة.

وفي هذه الأثناء دخل الضابط (سلمان) هو يحمل بيده ورقة بيضاء وقال:

- لقد استدلينا على هُويات الضحايا الثلاث الآخرين.

هذا الخبر استرعى اهتمام (عبدالله) قال بحماسة بالغة:

- أخبرنا عن هُوياتهم... صبري بدأ ينفد.

سحب (سلمان) كرسيًا وجلس بمحاذاة (عبدالله) وقال:

- الضحية الأولى هي كاتبة اسمها (ثناء راشد)، وكما هو موضح أمامي متزوجة ولديها ثلاثة أطفال، ولديها سبعة إصدارات أدبية وتبلغ من العمر 47 عامًا، والتحريات تقول إنها كاتبة متمكنة ولديها باع طويل في هذا المجال، وقامت بالعديد من المحاضرات الأدبية ولديها أيضًا دورات متخصصة في تعليم كتابة القصص الروائية، واختفت عن الأنظار بعد خروجها من معرض الكتاب بعد انتهاء

الفترة الصباحية، وكما ورد في التحقيق مع زوجها الذي قال إن زوجته تغيب كثيرًا وهو معتاد على ذلك وبالتحديد في فترة إقامة معرض الكتاب، وهذا ما جعله لا يفكر بإبلاغ الشرطة عن اختفائها.

سكت قليلًا وهو ينظر لـ (عبدالله) ثم أكمل حديثه:

- الضحية التي أمامي ليست مدعية كتابة كما الضحايا السابقين، فمدرستها في الكتابة بالطريقة الكلاسيكية وهذا ما فهمته من زوجها.

قاطعه (عبدالله) وقال:

- لا أفهم مثل هذه الأمور كثيرًا حاول أن توضح أكثر.

أجابه (سلمان) قائلًا:

- على حسب ما فهمته هناك نوعان من الكتابة، الأولى تسمى بالكلاسيكية القديمة، التي تعتمد على طرق معينة من الكتابة؛ بمعنى أدق يقلدون المؤلفين القدامى مثل تولستوي... ودستويفسكي... وتشيخوف... ونجيب محفوظ... وغازي القصيبي، هؤلاء كلهم ينتمون إلى المدرسة التقليدية القديمة التي تعتمد في بنائها على السرد والوصف، أما الثانية فهي الشبابية التي تكون قائمة على الحدث وهي الأكثر شهرة في الوقت الحالي، وكما عرفتُ هم يتبعون مدرسة الكاتب المتوفى أحمد خالد توفيق.

عقد (عبدالله) حاجبيه ثم صفّق وقال:

- نجيب... كيف استطعت بهذه السرعة اكتشاف هذه المعلومات كلها في هذا الوقت القصير؟

لم يُجب (سلمان) على سؤاله الاستهزائي، ثم أكمل حديثه وهو ينظر له بازدراء:

- الضحية الثانية (منصور بدر)؛ كاتب شاب لم يمضِ على دخوله هذا المجال سوى عامين وأصدر إصدارين، في الآونة الأخيرة كان نشطًا، دلتنا تحرياتنا إلى أنه قليل الأصدقاء وعمره لم يتجاوز الأربعين عامًا، مطلّق ولديه بنت وحيدة، وكما السابقين ليس لديه أية سوابق أو أعداء، وآخر مرة تمت رؤيته فيها كانت قبل غروب ليلة أمس، وبسبب أنه مطلّق لم يلحظ أحد غيابه كونه يسكن وحيدًا، أما طريقة كتابته فهي شبابية حديثة، حسب التحريات التي قمتُ بها فهو يكتب بشكل جيد لكنه ليس من محبي الأدب الكلاسيكي، وتشير المعلومات إلى أنه شخص طيب وخلوق وقليل الكلام، وقمنا بالتحقيق مع صاحب دار النشر الذي يتعامل معه، وأكد أنه إنسان ذو شخصيتين وهذا ما اكتشفه بعد توقيع العقد معه، وعلى إثر ما أدلى به، أكد أنه يتظاهر دائمًا بأنه شخصية طيبة تحب مساعدة الآخرين، أما في الواقع فهو شيء مختلف.

مط (عبدالله) شفتيه غير مقتنع بكلام الناشر وقال:

- ألا ترى أنه يبالغ في ذلك؟ كيف عرف هذا كله عنه في هذه الفترة؟ وكونه لا يحتك به سوى من خلال الكتب والمعارض!

رمقه (سلمان) بنظرة باردة ورد عليه:

- ليس أمامنا الآن سوى تصديقه، ولعل الاحتكاك الذي تراه بسيطًا في وجِهة نظرك، إلا أنه قد فهم أن بواطن شخصية منصور على

عكس ما يظهره للناس، ومن خلال كلامه أيضًا، أكد أن الضحية كانت دائمًا ما تريد أن تبرز كتبها على حساب المؤلفين الآخرين بالدار، وهذا الشيء يحدث كثيرًا بين الكُتّاب كما فهمتُ منه، وطبعًا هذا الأمر لا يحدث أمام الجميع وإنما يحصل من خلال الغرف المغلقة أو الاتصالات السرية.

تكلم (عبدالله) بيأس وهو يسأل باقتضاب:

- وماذا عن الضحية الثالثة؟

أجابه (سلمان) وقال:

- الأخير يُدعى (يوسف) والشهير بـ: (يوسف الكينغ) هذا لقبه، دخل هذا المجال بطريقة غير واضحة، يبلغ من العمر ثلاثين عامًا، غير متزوج، ودائمًا ما يثير الجدل بتصريحاته وكتبه، وكثير الظهور على برامج التواصل الاجتماعي من خلال مقاطع صغيرة، يستهدف بشكل مباشر المراهقات، لم يكن واضحًا في طريقة أسلوبه الأدبي، ليس نمطيًا كما الضحية الأولى ولا شبابيًا كما الضحية الثانية، قصصه التي يختارها لا بد أن تكون بطلتها فتاة كي يثير الجدل، ودائمًا ما كان واثقًا من نفسه وبما يكتب، رغم كثرة الانتقادات التي تحيط به من كل جانب، وبدوره لا يهتم بها كثيرًا، لديه شهرة واسعة بين الفتيات، وكتبه تكاد تكون الأكثر مبيعًا في المعارض، شهرته تعدت محيط الخليج العربي، والتحريات أكدت أنه لم يحضر للمعرض ليلة أمس وهو أمر مستبعد عنه ومستغرب في الوقت ذاته، وأصدقاؤه الذين حققنا معهم حتى أكدوا أنهم حاولوا التواصل معه لكنه لم يجب على اتصالاتهم.

عمّ الصمت في المكان بعد انتهاء (سلمان) من تحديد هُويات الضحايا الجدد، ثم قطع (عبدالله) ذلك الهدوء قائلًا:

- النتيجة المؤكدة التي وصلتُ لها من خلال الضحايا أن سفاحنا يستهدف المؤلفين، في البداية كنت أظن أنه يقتل كل من يدعي أنه كاتبًا، لكن ضحاياه الجدد أكدوا لي أنه لا يختار؛ بل يستهدف أي مؤلف دون شروط محددة، وهو على معرفة كاملة بجميع المؤلفين؛ بل من الممكن أنه يعيش في الوسط الأدبي، لكن النقطة المهمة هل هو قارئ أم كاتب؟ هذا ما لم أتوصل إليه حتى هذه اللحظة.

هم (سلمان) واقفًا وهو يقول:

- ليس لدينا متسع من الوقت، علينا تكثيف تحرياتنا؛ فالرأي العام بدأ في محاصرتنا بشكل كبير، ولا نريد أن تزداد الضحايا، على الرغم من أن القاتل بهذا الوقت يعرف جيدًا بأننا سنكون قريبين القرب كله من جميع أهدافه، وعلينا أيضًا أن نكون أكثر حيطةً وحذرًا، من المؤلفين الذين -لا يزالون- على قيد الحياة، وبالتحديد المشهورين منهم، ضحايا القاتل هم من الذين كثرت عليهم الأضواء وليس بالضرورة أن يكونوا مؤلفين حقيقيين، علينا الاتصال بهؤلاء الكتّاب ونطلب منهم الحذر الشديد وإخبارنا بما هو مهم كله أو أية معلومة تصب لصالح هذه القضية.

ثم بعد ذلك نظر إلى (عبدالله) ووجه الكلام له:

- أتمنى أن تكون أكثر جدية وتبتعد عن هذا البرود، وتلك الطرافة التي تلقيها ما بين الحين والآخر، قياداتنا لن ترحمنا لو أخفقنا أو زاد عدد الضحايا.

هذه الجملة زادت من غيظ (عبدالله) كونه من وجهة نظر زميله لا يبالي، وفي الوقت نفسه هذه القضية باتت من أهم ما يبحث عنه، ووسط هذا الأجواء المشحونة رن الهاتف.

أجاب عليه (سلمان) والذي كان يرد بانضباط على المتصل، وعلى وجهه بانت ملامح عدم الرضا، وبعدما أقفل قال لـ (عبدالله):

- إنه أحد القيادات العليا من الوزارة، طلب مني إنهاء هذه القضية في أسرع وقت ممكن، والوصول إلى هذا القاتل المتسلسل بأية طريقة كانت، وقبل إقفاله للهاتف، أخبرني أن الوزارة قد أبلغت إدارة معرض الكتاب الدولي بإغلاقه حرصًا على سلامة الزوار وخوفًا من ظهور ضحايا جدد.

13

في مساء تلك الليلة كان منزل الكاتب (مرزوق محمد) محاطًا بخيوط من التوتر والارتباك بسبب ازدياد عدد ضحايا سفاح الكتب، كان وقتها يتحدث مع زوجته (حنان) التي باتت هي الأخرى أكثر قلقا منه، خاصةً بعد الاتصالات العديدة التي وردتهم من ضباط وزارة الداخلية، وحرصهم الشديد على أخذ الحيطة والحذر بشكل أكبر، تحسبًا لأي هجوم غير متوقع في أي لحظة.

الساعة وقتها كانت تشير إلى الحادية عشرة مساءً، كانت (حنان) تتأكد من رصد الأبواب والشبابيك وتحرص على أن تكون مغلقة، وذلك بسبب خوفها المبالغ وقلقها المستمر بعد انتشار خبر قاتل المؤلفين، تتفحص هاتفها بين فينةٍ وأخرى، لعل وعسى أن تجد أنباء القبض على هذا المجرم تزين صفحات الجرائد الإليكترونية، وبعد أن خاب رجاؤها قالت وهي تتأفف:

- لا أخبار جديدة... الجميع يفتي من عنده، الأمر يزداد توترًا، وقلبي بدأ في الانصهار من الخوف، أرجوك دع هاتفك ملازمًا لكَ، لا أحد يعلم كيف يفكر هذا القاتل، إنه يقتل بشكل عشوائي وليس لديه أي نمط محدد، فرائسه كلهم من المؤلفين وأنت أحدهم.

ارتبك (مرزوق) بمجرد أن التقطت أذناه كلمات زوجته، فارتسمت على وجهه ملامح القلق، وبدأت الوساوس والشكوك في نهش أفكاره، أطرق برأسه قليلًا ثم قال بصوت متردد:

- لا أظنه يقتحم المنازل ليؤذي ضحاياه، ما بدا لي من مسرح

الجرائم مختلف تمامًا عما تفكرين به، هو أشبه بمن يستدرجهم بخطوات محسوبة، والدليل أنه يمضي وقتًا طويلًا معهم، وكأن متعته الحقيقية تكمن في تقطيع ألسنتهم وبتر أيديهم وتلويث يديه بتلك الدماء، ومن بعد ذلك يتكبد مشقة إخفاء تلك الجثث في الحقائب، وكتابة عبارة غامضة عليها: (غير صالح للنشر)، أكاد أجزم أن مَن قام بتلك الجرائم لا يتعدى أن يكون أحد القراء الذين أثقلتهم الهواجس والأمراض النفسية، أو أنه كاتب فشل في وقت سابق وعاد لينتقم، لا تشغلي بالك كثيرًا.

لم تجد (حنان) في كلمات زوجها ما يقنع قلبها، فقالت:

- بحكم عملي وخبرتي في هذا المجال، أرى أن هذا المجرم يندرج تحت قائمة القتلة المتسلسلين، وذلك بسبب نمطيته وأسلوبه الدقيق في انتقاء ضحاياه، والأدهى أنه قادر على المراوغة والتسلل بخفة لا يدركها أحد، من الممكن أن يكون يستمع لنا الآن... قد يبدو هادئًا للعيان، وبارعًا في إخفاء مشاعره خلف قناع بارد، حتى إنك تكاد أن تتعاطف معه وتنسى للحظة أنه قاتل، ولكنه في الحقيقة ميت القلب.

التفتت نحو ساعة الحائط لتنتبه إلى الوقت، ثم قالت:

- لقد سرقنا الحديث وتأخر الوقت، من الأفضل أن نخلد للنوم الآن، عليّ الاستيقاظ باكرًا، فصباح الغد ينتظرني موعد مهم متعلق بمشروعي الذي تعرفه.

ابتسم (عبدالله) ابتسامة مصطنعة محاولًا صرفها عن قلقها المسيطر عليها وقال بهدوء:

- تقصدين مشروعك الخاص بالعلاج عن طريق الإيحاء والتوغل بعقول مراجعيكِ؟ أعتقد أنكِ بذلت جهدًا جبارًا لتصلي لتلك النتائج المرضية، ما زرعتِه كله سيثمر قريبًا، أنا أؤمن بكِ كثيرًا، وأثق أن الحصيلة النهائية ستبهركِ.

نظرت إليه وعلى ملامح وجهها ارتسمت سمات الفخر والامتنان لمشاعره، وقالت:

- بالفعل كما ذكرت، النتائج تبدو مرضية، ولكنني -ما زلت- أحتاج إلى بعض اللمسات الأخيرة كي أطمئن من فعاليتها، ربما في مساء الغد سيكون في استطاعتي تطبيقها على عقلكَ اذا أردتَ، للتأكد من سلامته.

ترددت قليلًا، ثم أضافت:

- ألا تتفق معي على أن الوقت قد تأخر، أظن أنه آن لنا أن نخلد للنوم.

أجابها وهو يفتح حاسوبه الشخصي وقال:

- لم أشعر بالنعاس بعد، فما زلت في حاجة إلى مراجعة روايتي الجديدة، يمكنكِ أنتِ التوجه إلى الفراش، سأتبعكِ بعد ساعة.

دخلت غرفتها، وقلبها مثقل بالقلق، اقتربت من النافذة وأزالت الستارة، وألقت نظرة على الشارع الغارق في السكون، بينما مصابيح الإنارة تبعث بضياءٍ خافت ينعكس على الأرصفة، ثم تمتمت في سرها:

- لماذا يراودني هذا الخوف كله؟ معلما قال مرزوق... هذا القاتل ليس غبيًا كي يقتحم منزلنا، كيف سمحت لصدى أخبار تلك الجرائم التي سمعت عنها في اليومين الماضيين أن يلقي بظلاله على نفسيتي؟

انزوت إلى فراشها، وظلت تلك الهواجس تطوف بعناد فوق رأسها، كبعوضة صغيرة مزعجة تمنع عنها السكينة، إلا إن النوم فرض سيطرته عليها أخيرًا واستسلمت لسلطانه، ظنت أنها دخلت بعمق الكرى، إلا أن همسات القلق لا تزال تتردد في أعماقها، لتشعر بعد ذلك بيديين دافئتين تضغطان على عنقها، لم تهتم في البداية لما أحست به وكانت تظن أن حُلمًا ثقيلًا قد استباح نومها، ازداد الضغط كثيرًا، هنا انتبهت أنه لم يكن حُلمًا، تأكدت أنه ليس بكابوس يطبق على رقبتها، بعدما شعرت بتلك الأنفاس التي لسعت وجنتيها، فتحت عينيها لترى ذلك الوحش الذي كان مواجهًا لها، لم تتمكن من تبين ملامحه بوضوح بسبب عتمة الغرفة، ولم تميز منهُ سوى جسده الضخم ورأسه المغطى بالكامل لا يظهر منه سوى تلك العينين الغاضبتين، لتقوم بعدها باستخدام أهم سلاح للمرأة وهو الصراخ، ولكن صاحب الجسم الثقيل الذي يربض فوقها استبق صرخاتها قبل أن تنطلق منها بوضع إحدى يديه على فمها ليكتم أنفاسها، قاومته بكل ما أوتيت من قوة، وفي خضم المقاومة غير المتكافئة وبسبب حلاوة الروح قامت بعَض إصبعه الذي كان يحتمي بقفاز خفيف، هنا أبعد يده عن فمها متألمًا، فانتهزت الفرصة لترفسه بقوتها كلها؛ مما جعله يبتعد عنها، ثم تدحرجت هي للجانب الآخر من السرير، وما فيها كله ينبض بينما همّ المتسلل واقفًا للحظات، اختبأت كردّ فعل

غريزي، ثم أدركت أن فمها قد تحرر من قبضته، لتطلق بعدها صيحة بصوت عالٍ منادية على زوجها:

- مرزوق... مرزوق.

لا يزال الظلام يملأ الغرفة، وكل شيء حولها بات رماديًا بسبب الضوء الخافت الذي يتسلل من الشارع. في تلك اللحظة، أطلق الشخص الغريب قدميه للريح ولاذ بالفرار راكضًا، تاركًا الغرفة وحنان وراءه.

بقيت (حنان) تتنفس بصعوبة، وأطرافها كلها ترتجف من الخوف، ظلت صامتة لأكثر من دقيقة، تحاول استيعاب الموقف الصادم الذي لم تتخيل أن يحدث يومًا حتى في أحلامها، لتنتبه مرة أخرى وتطلب النجدة من زوجها الذي تركته في صالة منزلهم قبل قليل لتستغيث به:

- مرزوق... مرزوق... هل تسمعني؟ هناك مَن اقتحم غرفتي.

عاد الصمت ليخيم على المكان، نهضت بحذر تتفحص محيطها خشية تعرضها لأي هجوم مباغت جديد، وبعد أقل من دقيقة دخل (مرزوق) للغرفة بعينين متوجستين، يريد فهم ما حدث ولماذا هي تصرخ بهذا الخوف كلها.

وفور دخوله، ظنت أنه الشخص الذي اقتحم حجرتها مرة أخرى، فتجمدت في محلها، ولا إراديًا اختبأت مرة أخرى بجانب السرير.

في تلك اللحظة فتح (مرزوق) الأنوار، لترفع رأسها بحذر شديد، تنظر له بطرفي عينيها تريد أن تتأكد هل هو زوجها أم أن المقتحم

قد عاد، أخذت نفسًا عميقًا وانطلقت نحوه تحتضنه وهي ترتجف، والدموع تتصبب من عينيها وهي تتلفت حولها، فقال (مرزوق) هنا:

- لما هذا الخوف كله؟ أخبريني ما الذي حدث بالضبط... لماذا هذا الصراخ كله؟

لم تتمكن من الإجابة بهذه اللحظة، فقد كانت تحت تأثير الصدمة التي شلت حواسها، أمسك (مرزوق) بيدها، وقال:

- هل كان كابوسًا جعلكِ تصلين إلى هذا الوضع؟

رفعت رأسها ونظرت إلية بذعر قائلة:

- لا... لا... لم يكن كابوسًا، كان هناك لص يجثم على صدري، ويحاول خنقي قبل دقائق قليلة، صدقني لم يكن غير ذلك.

عقد (مرزوق) حاجبيه في حيرة، لم يستوعب في البداية ما تقوله، ثم تكلم وقال:

- عن أيّ لص تتحدثين يا حنان؟ قبل دقائق كنت في الصالة ولم أشعر بوجود أحد.

ثم صمت للحظات مفكرًا ثم أكمل:

- هل أنتِ متأكدة مما تقولين؟ كيف له أن يدخل بهذه الصورة ولم أنتبه له؟

ردت عليه بصوت مرتجف:

- هذا ما يحيرني ويثير خوفي، كيف وصل إلى هنا دون أن تشعر به؟ هل من المعقول أنه كان مختبئًا بمنزلنا من قبل وصولنا، واستغل

فرصة وجودي وحدي هنا؟

ربت (مرزوق) على كتف زوجته محاولًا تهدئتها، ثم انتقلا إلى الصالة، وانتبه بخوف إلى الباب الخارجي الذي كان مواربًا، توجه نحوه بعينين مفجوعتين، ليتأكد أن كان هناك مَن دخل إلى منزله بالفعل، ثم تذكر أنه كان في دورة المياه قبل دقائق، تبعته (حنان) وهي تدور بعينيها في المكان خوفًا من ظهور اللص مرة أخرى، وقالت:

- أرجوك يا مرزوق لا تتركني وحدي.

احضر لها زوجها قنينة ماء، ثم طلب منها أن تحكي له ما جرى كله، مؤكدًا لها أن المكان بات آمنًا، ولا شي يدعو للقلق، وبالفعل روت له ما حصل لها كله بالتفصيل، وفي خضم ذهوله، بدأ يفكر بصوت مسموع قائلًا:

- هل من المعقول أنه استغل لحظة دخولي إلى الحمام؟ هل هو القاتل نفسه الذي يتحدثون عنه، وكان يستهدفني في هذه اللحظة؟ إذا كنت أنا الهدف فلماذا حاول قتل زوجتي؟

هذه الأسئلة كلها لم يجد لها (مرزوق) أية إجابة، لكنه شعر هنا أنه هو أحد المستهدفين من قِبل هذا القاتل الذي تجرأ على اقتحام منزله.

وبعد مرور ربع ساعة، نهض من مكانه ليفكر في خطوته التالية، وهو ينظر للمدخل الخارجي باحثًا عن أي دليل يؤكد أن المنزل قد أُقتحم بالفعل، لكنه لم يجد شيئًا سوى ذلك الباب الذي كان مفتوحًا،

بينما شبح الخوف الذي كان يطارده منذ أن بدأ في الكتابة قد عاد من جديد بصورة قاتل يسيل لعابه لافتراس ضحاياها، هنا حسم أمره وقال لزوجته:

- ليس أمامنا الآن سوى الاتصال على الضابط الذي ترك رقم هاتفه معي، وإبلاغه بما جرى كله.

14

- القاتل يفكر أسرع منا، أنه يتقدمنا بخطوات، عازم على إتمام مهامه دون أن يطرف له جفن.

هذا ما قاله الضابط (عبدالله) وهو يصارع من أجل إبقاء عينيه مفتوحتين بسبب النعاس محاولًا منع النوم من التسلل إليهما، أثناء وجوده في منزل (مرزوق) الذي اتصل به بعد حادثة زوجته واللص.

قال زميله (سلمان) متفكرًا:

- الأمر الذي لا أفهمه إلى الآن كيف استطاع التسلل إلى بيتكما دون أن تشعرا به؟

رد عليه الكاتب (مرزوق) بعقة:

- من المرجح أنه تسلل إلى المنزل قبل وصولنا، واختبأ في مكان ما يراقب تحركاتنا، وانتظر اللحظة المناسبة، وعندما وجد زوجتي بمفردها، استغل الموقف وحاول قتلها، ثم -وكما أظن- أنه كان ينوي قتلي أنا أيضًا، لم يكن لديه أي خيار أخر، ومن المستحيل أن يكون قد دخل بعدنا.

التفت الضابط (عبدالله) نحو (حنان) وسألها بنبرة هادئة لكنها حادة في الوقت نفسه:

- هل لكِ أن توصفي لنا شكله أو ملامح من جسمه؟

ارتجفت (حنان) وهي تجيبه قائلةً:

- الغرفة كانت مظلمة، ولم أستطع رؤية ملامحه بوضوح، الشيء

الوحيد الذي بقي عالقًا في ذهني هو عيناه، نظراته كانت حادة بشكل أربكني، كادتا أن تفترساني.

بادل الضابط (سلمان) النظرات مع زميله، ثم وجه سؤاله إلى (مرزوق):

- من غير المعقول أنكَ لم تنتبه لما حصل أو تسمع صراخ زوجتكَ بعد استغاثتها كما أخبرتنا، كيف تبرر لنا ذلك؟

أجابه (مرزوق) بجدية:

- أعتقد أنه كان يراقبني بدقة، كنت في تلك اللحظة داخل دورة المياه، فانتهز فرصة غيابي لينقض عليها، لا أجد تفسيرًا آخر.

ساد الصمت لوهلة، لا يسمع فيها سوى أنفاس متقطعة وثقل اللحظات، وضع الضابط (عبدالله) يده على فمه، غارقًا في التفكير العميق، ثم تمتم بنبرة جادة قائلًا:

- هذا يعني أن القاتل يملك قدرًا كبيرًا من الجرأة والإقدام، شخصٌ لا يعرف التردد، كان مستعدًا للانقضاض بسرعة ودون تراجع، لكن المثير للاهتمام أنه كان قريبًا جدًا منكما، وإجاباتكما كلها لم تفدنا بشيء، حتى ملامحه لم تُرَ بوضوح، كما أنه لم يترك وراءه أثرًا واضحًا، كأنه يعرف تفاصيل هذا البيت جيدًا.

حاول (سلمان) تغيير مجرى الحديث، وسأل:

- مرزوق... هل تملك أعداء حقيقيين؟ أشخاصًا قد يرغبون في التخلص منكَ؟ المجال الذي تعمل فيه لم يعد آمنًا على ما يبدو.

ظل (مرزوق) صامتًا لثوانٍ، عيناه شاردتان كأنه يستعرض في ذهنه وجوهًا قديمة وظلالًا من الماضي، ثم قال ببطء:

- نحن جميعًا لدينا خصوم... وحتى وإن لم يبدُ الأمر واضحًا، رغم الحروب الخفية التي تحصل، لا أستطيع الجزم بوجود عدو محدد، هناك بعض من المؤلفين لا أريد التعميم وأقول الكل فالتعميم لغة الجهلاء، لكنني أعلم أن هناك من يفكر بتلك الطريقة المظلمة، بعضهم قد يكون رازحًا تحت وطأة الأمراض النفسية، أو يعاني من جروح قديمة انعكست في داخله، ولكن... ولا أظن أن لديهم الشجاعة الكاملة ليقدموا على القتل، لا أريد اتهام أي أحد وأنا لا أملك أي دليل دامغ.

مال الضابط (عبدالله) بجسمه للأمام، ضيق عينيه وهو يتأمل (مرزوق) بعينين فاحصتين، قبل أن يرسم على شفتيه ابتسامة باهتة وهو يقول بنبرة مُبطّنة بالشك:

- القاتل لا يكشف أوراقه بسهولة، ولا يواجهكَ بعدوانية أو يظهر لك ما يضمره من نوايا خبيثة، إنهم -دائمًا- يتسللون إلى حياة ضحاياهم بهدوء بارد، كظل يتقدم دون جلبة، يزرع الثقة ثم يضرب ضربته ويبتعد كأنه لم يفعل شيء، إنهم أفاعٍ ملونة تبهرك عند النظرة الأولى، لكن تحت جمال ألوانها سمّ قاتل، وهذه أخطر صفاتهم، لأنك حينها لا تملك إلا أن تشك في مَن حولك كلهم، حتى أقرب الناس إليك.

صمت (عبدالله) قليلًا، ثم أردف:

- وربما... تكون أنت واحد منهم، أنا لا أشك بك، ولكنني أقول

كلامي هذا بحكم خبرتي الطويلة في مجالي، ما نريده منك كله الآن يا (مرزوق) أن تذكر لنا أسماء حتى لو كانت شكوكك قليلة من ناحيتهم.

ساد السكون في تلك اللحظة، حتى إن أنفاس (مرزوق) بدت مسموعة، كأن المكان كله يترقب رده، لم يحاول الدفاع عن نفسه واكتفى بصمته ينظر للجميع، فالتردد يشل تفكيره، يعلم جيدًا أن هناك أعداء له بهذا المجال، وفي الوقت نفسه لا يريد أن يقحم أسماءهم في هذا الوقت لأنه يعرفهم مجرد الآت صوتية لا تُقدِّم ولا تؤخِّر.

قطع (سلمان) لحظات التوجس تلك والتفكير، بصوت يشي بالتحليل أكثر من الاتهام وقال:

- وفق المعلومات التي حصلنا عليها، أن بدايتك لم تكن موفقة، وهناك أعداء للنجاح حاولوا إبعادكَ عن هذا المجال، وآخرون وقفوا في وجهك، أنا لا ألومك لأنك قبل قليل كدت أن تكون ضحية سابعة لهذا المجرم؛ لكن... حاول أن تستعيد ذاكرتك قليلًا، قد يقودك ذلك إلى حدث أو موقف أو حتى فكرة غابت عنك، لكنها قد تفتح لنا بابًا نحو القاتل.

لمعت عينا (حنان) فجأة، وكأن فكرة ما انبثقت في ذهنها، وقالت لزوجها بحماسة:

- نعم... ما قاله الضابط (سلمان) صحيح يا مرزوق... هل تذكر حالتك النفسية في البداية كيف كنت تقاتل تحارب هؤلاء الشرذمة الذين وقفوا في طريقك، لدرجة أنك وصلت لمرحلة أردت فيها ترك

هذا المجال كله ومراقبته من بعيد، أعرفك جيدًا... أنتَ لا تريد إيقاع الضرر بأي أحد لمجرد شك، لكن الأمر لا يحتمل سكوتك.

التفت (مرزوق) ناحيتها عاقدًا حاجبيه بغضب واضح، وقال:

- حنان... ذِكر أي اسم ممن وقفوا بوجهي وحاربوني يومًا، هذا يعني أنني أتهمهم بشيء لست متأكدًا منه، وكما قلت سابقًا كلها شكوك لا حقائق، وعندما تكون هذه الشكوك هي مصدر بحثنا عن القاتل بسبب مواقف حصلت في الماضي، هنا يصبح الجميع متهمين.

امتعضت (حنان) من رد زوجها وقالت:

- إلى متى وأنت تتقمص دور ذلك الفارس الشهم الذي يحمل سيفه البتار ويدافع حتى عن أعدائه، الأمر وصل لمحاولة قتلي، لقد اقتحم بيتنا وهددنا، وربما لو ظفر بي ستكون أنتَ الضحية التالية.

خيم الصمت على (مرزوق) كضباب كثيف، شعر أن جدران الغرفة تضيق عليه، وأن العيون كلها الحاضرة تخترقه بسهام الاتهام، نعم... يرى نفسه محاصرًا في زاوية ضيقة، وعالقًا في شِباك مبادئه، لا يريد إدخال أحدٍ في دائرة الاتهام، فمجاله مليء بالخبثاء.

قاطع (عبدالله) ذلك السكون المشحون، محاولًا تغير مسار التحقيق المتوتر، وسأله بنبرة هادئة تخفي وراءها عاصفة من الارتياب:

- برأيك يا مرزوق، هل مَن رحلوا كلهم يستحقون تلك النهاية؟

انتفض (مرزوق) من مقعده، وكأن السؤال شرارة أشعلت غضبه المكبوت، وقال وهو يرتجف من الانفعال:

- لماذا تتعاملون معي وكأنني أنا القاتل؟ أما عن سؤالك... فلا أحد يستحق القتل حتى لو كان كلب أجرب، في النهاية هم بشر، لديهم أهل وعائلات يبكونهم، خلافي مع أولئك المؤلفين لن يصل يومًا إلى إراقة الدماء، صدقني... مَن تبحثون عنه ليس سوى مريض نفسي، وجد في الموت لعبة دموية مسلية لإشباع غروره النرجسي، وأنا أشك أن يكون كاتبًا من الأساس.

تدخل الضابط (عبدالله) بنبرة حازمة، محاولًا تهدئة الأجواء:

- اهدأ قليلًا يا (مرزوق)، وحاول أن تتفهم وتقدر موقفنا، الوضع بات معقدًا وصعبًا على الجميع كما ترى، وما نطلبه كله منك هو التعاون والتفكير معنا كي نصل بالأخير إلى هوية هذا القاتل الحقير، نحتاج إلى عصف ذهني جماعي، فكل معلومة منك قد تقودنا إلى الإيقاع بهذا المجرم في شباكنا، مصادرنا تؤكد أن المؤلفين المشهورين كلهم هم أهداف له.

نظر (مرزوق) إليه بابتسامة ساخرة تملؤها المرارة والتندر، وأجاب:

- هل ترى أحدًا من هؤلاء الذين قتلوا يستحق حقًا لقب مؤلف؟ صحيح هم مشهورون ولديهم قاعدة جماهيرية كبيرة، والشهرة في هذا الوقت أسهل مما تتصور، تظهر على أحد برامج التواصل الاجتماعي تتكلم بكل سذاجة، ولديك بعضًا من الجرأة الغبية، تتحدث بكلام لا تفهمه ولا تفقه منه حرفًا، وتظهر للناس ثقافتك المصطنعة، أو أنك تقوم بشراء نص من كاتب يعاني من حالته المادية الصعبة، تستغل ظروفه وتنسب ذلك النص لك، أو ربما تدفع

المال لبعض هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم نقادًا، ليوجهوا الناس إليكَ، لمجرد أنهم ظهروا وهم يمسكون بكتبك ويثنون عليها دون قراءة حرف واحد منها، بينما يتفاجأ القراء الحقيقيون أن تلك النصوص كلها ما هي إلا محادثات بين اثنين على برنامج الواتس آب، الشهرة سهلة والادعاء تاج غير واقعي يرتديه المزيفون، الذائقة الأدبية باتت بلا طعم.

لاحت ملامح النصر التي ارتسمت على وجه (عبدالله) وقال:

- معلومات جميلة وجديدة في الوقت نفسه، هذا يعني أن كل من قُتل هم من المؤلفين المزيفين كما قلت، ويستحقون الموت من وجهة نظرك.

اعترض (مرزوق) على كلامه وقال بحدة:

- لا... أنا لم أقل ذلك، وأنا ضد الفكرة فلا أحد يستحق القتل وإن كان ممن ادعى الكتابة، ثم أن بين هؤلاء الضحايا الكاتبة (ثناء) وهي من المتميزات ولديها حس أدبي جميل، مشكلتها والوحيدة أنها تصنف المؤلفين الذين لا يكتبون على نهجها؛ بل تحاربهم وربما يصل الأمر معها إلى أنها تطالب بعدم استحقاقهم للقب كاتب، لا تؤول كلامي بحسب ما تشتهيه يا سيادة الضابط.

هنا سأل الضابط (سلمان) مقاطعًا استرسال (مرزوق):

- هل ترى يا مرزوق أنك تستحق لقب كاتب؟

أجابه بهدوء:

- هذا الأمر لست أنا من يحدده، الجمهور هو الذي له الحق في ذلك،

خبرتي تقول لي إن الكاتب باستمراريته وليس بكفاءته.

قطع تلك التحقيقات دخول أحد أفراد الأمن الذي كان يحمل بيده عددًا من الأوراق وقال:

- سيدي هذا تقرير الطب الجنائي تم إرساله من الطب الشرعي قبل قليل.

نهض (عبدالله) وقال:

- نشكركما على تعاونكما معنا، نحن مضطرون لإنهاء هذا التحقيق في الوقت الحالي.

ردت عليه (حنان) وهي بحسٍ مرتجف:

- هل هذا يعني أننا سنبقى بمنزلنا دون أن نشعر بالأمان؟

أجابها (سلمان) محاولًا طمأنتها وقال:

- لا داعي للقلق، لقد أمرنا بعض المخبرين بالوجود حول بيتكما، ما هو مطلوب كله منكم الآن هو توخي الحذر والفطنة، وأن تكونا أشد حرصًا عما كنتما عليه في السابق، ولا أعتقد أن السفاح بهذه السذاجة لكي يعود مرة أخرى، فهو على علم أن هدفه بات مكشوفًا وغير صالح.

15

كانت قسمات وجه الضابط (عبدالله) تتغير مع كل سطر يقرأه من التقرير الذي بين يديه، عيناه تنتقلان بسرعة بين الصفحات التي يقلبها، يقرأ بهمس لا يسمعه أحد، وإلى جواره يقف زميله (سلمان) وعلامات الفضول واضحة على وجهه، يريد إدراك وفهم ما تخفيه هذه الأوراق بداخلها.

فجأة... توقف (عبدالله) عن القراءة وأغلق الملف، ثم نظر لـ (سلمان) نظرة تحمل فى طياتها الكثير، وقال بصوت أجش:

- التقرير الذي أمامي يؤكد ما كنا نخشاه، فجميع الضحايا ماتوا قبل التمثيل بجثثهم بتلك الطريقة التي وجدناهم عليها، لقد ماتوا مسمومين يا سلمان، مادة سامة شديدة الفعالية هي التي أزهقت أرواحهم، والتقرير يشير إلى أن آخر ما دخل في جوفهم كان القهوة.

قاطعه (سلمان) بلهفة وعيناه تلمعان ببريق الاكتشاف وقال:

- هذا يعني أن السم كان في القهوة... لقد قدمها لهم قبل أن يجهز عليهم بهذه الطريقة الدرامية البشعة، وهذا يغير مجرى كل شيء! القاتل لم يكن بحاجه لقوة بدنية للسيطرة على ضحاياه، لقد كانوا مجرد أجسادًا هامدةً بين يديه.

رد (عبدالله) على زميله بهدوء مخيف وقال:

- دعني أكمل حديثي... فارق التوقيت بين الضحايا الثلاثة الأوائل يتراوح بين ساعة إلى ساعة ونصف، هذا وقت أكثر من كافٍ لقاتلنا كي يرتب مسرح جريمته بكل دقة وحرفية... نحن لا نتعامل مع

مجرم عادي يا سلمان؛ بل مع شخص يتمتع بذكاء شيطاني وخُطة محكمة... التقرير يؤكد عدم وجود أي أثر للمقاومة على أجساد الضحايا؛ مما يعني أنه قتلهم بهدوء تام، تمامًا كما توقعت.

سأل (سلمان) بحس هادئ يخفي خلفه ترقبًا وريبة:

- وماذا عن أصحاب الهواتف؟ وتلك المكالمات الأخيرة... هل أسفرت عن شيء؟

سحب (عبدالله) ورقة من بين كومة الأوراق في الملف الذي أمامه، وبدا وكأن ثقل العالم قد حفر على ملامحه وهو يقول:

- لقد تحققنا من هوياتهم، جميعهم عمالة من الجنسيات الآسيوية، وأكدوا لنا ظهور امرأة غامضة كانت ترتدي عباءة وتخفي وجهها بنقاب، طلبت منهم إجراء مكالمة عاجلة بحجة نفاد شحن هاتفها، ومن خلال تحرياتنا عنهم تأكد لنا أن سجلاتهم نظيفة تمامًا، لا سوابق أو جرائم مخلة بالشرف أو الأمانة، والأمر الأكثر إثارة للقلق، هو تقرير شركات الاتصالات الذي أظهر أن المكالمات قد أُجريت من مناطق متفرقة ومتباعدة عن بعضها البعض.

جز (سلمان) على أسنانه بغيظ مكتوم وقال:

- اللعين... إنه يتلاعب بنا ويريد تضليلنا بتلك الطريقة، وعلى ما أعتقد كان يستدرج ضحاياه إلى حتفهم من خلال تلك الاتصالات، ويقوم بفعلته معهم دون أن يترك خلفه أي أثر يمكن تتبعه.

وضع (عبدالله) الأوراق على المكتب، والتفت إلى (سلمان) بنظرات تحمل معاني الإصرار والتحدي وقال:

- اسمع... إذن ما كشفه التقرير الجنائي... الجاني لم يترك خلفه أي دليل مادي عنه، لكنه ترك شيئًا آخر... لقد وجدنا آثار إطارات متطابقة في مسرحي الجريمة، الأول كان على رصيف أحد سواحل الواجهة البحرية، والآخر على رمال بر الصبية، التحريات الأولية تؤكد أن الإطارات المستخدمة هي من نوع نادر ومخصص للمركبات الكبيرة مثل الچيب أو العربات ذات السلال الخلفية، وكما تعرف لا توجد في تلك المناطق كاميرات رصد من الممكن أن تفيدنا بأوصاف المركبة، علينا الآن حصر جميع المؤلفين والقراء أو المشتبه بهم عمومًا، الذين يملكون سيارات بالمواصفات المذكورة نفسها.

خالفه (سلمان) الرأي قائلًا بنبرة لم تخلُ من تحدٍ:

- أنا لا أتفق معك يا (عبدالله)، صحيح أننا لم نصل للصورة الكاملة بعد، لكن هذا التقرير الأخير ألقى حجرًا في مياه التحقيق الراكدة، لقد منحنا خيوطًا ثمينة، وإن كانت باهتة في ظاهرها، حول أسلوب القاتل في أنه لا يعذب ضحاياه قبل موتهم وهذا دليل أنه يمتلك نوعًا ما من المشاعر، أما عن طراز السيارة التي إلى الآن لم نستدل عليها، فمن السهل حصر أصحاب المقتولين وأهاليهم مِن مَن يملكون هذه النوعية من المركبات وفحص إطاراتهم ومطابقتها مع الأثر الذي معنا، لكن الأهم من ذلك، أنه فتح لنا الباب أمام أسئلة لم نكن لنفكر بها لولا هذا التقرير، وهو عن المكان الذي يقوم باستدراج الضحايا إليه.

هز (عبدالله) رأسه بأسي وبدا وكأن عبء القضية كلها يستقر على كتفيه، وقال بصوت خفيض:

- حتى الحقائب التي استخدمها لوضع القتلى، لم تكن دليلًا كافيًا، لقد اختار حقائب مشهورة ومنتشرة في الأسواق، يمكنك شراؤها من أي مكان، إنه يغرقنا في تفاصيل لا طائل من ورائها، ويضللنا عن عمد.

وضع سلمان يده على رأسه وقال بإرهاق واضح:

- هذا الصداع يكاد يفتك بي، منذ ثلاثة أيام بلياليها لم تذق عيني طعم النوم، بالكاد نمت ست ساعات متفرقة، أحتاج إلى الراحة.

نهض (عبدالله) دون أن ينبس ببنت كلمة ولم يكترث لما تفوه به زميله، واختفى عن الأنظار لدقائق معدودة، ثم عاد وهو يحمل بيده كيسًا ورقيًا ممتلئ بالشطائر، وضعه على الطاولة أمامه ليفتحها ويخرج قطعة منها، وثم بدأ يلتهمها بكل بحب، وسط علامات الحسرة التي بانت على وجه زميله (سلمان) الذي قال باستهزاء:

- على ما اعتقد أن وجباتك الثلاث اليومية تقتصر على هذه الشطيرة التي مُلأت بالجبن والبصل والطماطم، لا أدري -حقًّا- ما سر هذا الحب الغريب! هل كانت حبيبتك هي مَن تعدها لكَ في وقت سابق؟ وعلى ما أظن أنكَ لست من هؤلاء الذين يملكون قلبًا لديه خانة للرومانسية.

توقف (عبدالله) عن المضغ، بمجرد ما أن سمع تلك الجملة التي تسللت إلى أذنه قبل لحظات وقد أيقظت شيئًا غائرًا في نفسه، رفع رأسه ونظر إلى زميله مباشرةً، ثم قال بصوت متماسك يخفي ارتجافة غامضة:

- لن تفهم هذا السر ما حييت، دائما ما يتبقى من الأشخاص الذين نحبهم ما يشعرنا بوجودهم، هذا الذي تراه ويستفزك هو ما تبقى لي من شخص كان له الأثر الكبير في حياتي.

لم يبدِ (سلمان) أي اهتمام ظاهر؛ بل ترك الكلمات تتساقط أمامه كأوراق شجر ذابلة، وقال:

- علينا إعادة التحقيق مع الكاتب (صالح عبدالرحمن) من جديد.

تجمدت ملامح (عبدالله)، وارتسمت على وجهه ابتسامة مبهمة، أشبه بابتسامة مَن يعرف أكثر مما يجب، انحنى بجسمه قليلًا للأمام وقال:

- تقصد ذلك الذي يذكرني بالديك العجوز... يظن أن صوته -لا يزال- يوقظ العالم، وهو في الحقيقة مجرد صدى يتلاشى... مغرور، متعجرف، يختبئ خلف واجهة المثالية، وكما تعلم يا صديقي أن أكثر من يدعون الكمال، هم أوائل مَن يُفضحون عند أول شرخ، تعرفني جيدًا... أنا لا أحب المثاليين.

ارتكز (سلمان) على مسند الكرسي، ورد عليه بهدوء مشبع بالثقل:

- لا مجال لما نحب أو نكره في مجالنا، نحن نتحرك حيث يقودنا الخيط، وقد وردني أن أحد المخبرين رصد حسابًا على منصة (الإنستجرام)، يهاجم المؤلفين بوقاحة بالغة، بلا احترام لعائلاتهم أو مكانتهم الاجتماعية، وصاحب الحساب ذاته غارق في قضايا معلقة في المحاكم، وشبهات لا تنتهي.

سقط الصمت بينهما فجأة، لكنه لم يكن صمت ارتياح؛ كان أثقل

من جدار يشي بأن ما ينتظرهم خلفه يتجاوز حدود التحقيقات، وأقرب إلى متاهة لا يعرف ما الذي تخبئه في أعماقها.

16

في غرفة التحقيق ذات الجدران القاسية، وتحت ضوءٍ بالكاد يكشف عن ملامح الوجوه، وبعينين متوجستين، كان يتنقل ببصره بين زوايا الغرفة الضيقة؛ حيث جلس متقابلًا مع (عبدالله) و(سلمان)، والأوراق المبعثرة على الطاولة تفصل بينهم كحاجز صامت، لكنه لم يكن يكترث لأي شيء، كأنه اعتاد على هذا الوضع. وبدون مقدمات تقدم (سلمان) وسأله بنبرة جافة:

- كما هو مكتوب بالأوراق أمامي... اسمك (يوسف عبدالمحسن)، وعلى حسب ما ورد من التحريات، لديكَ حساب خاص في برنامج (الإنستجرام)، تقوم من خلاله بتقييم الكتب، تديره باسم الناقد، تمارس عبره انتقاداتك اللاذعة على الكُتّاب، حساب يتابعه الآلاف، لكنه مثير للشبهات، إذ تبين لنا أن عددًا لا بأس به من المؤلفين الذين هاجمتهم، قد رفعوا ضدكَ قضايا متعلقة بالتجريح والقدح والتشهير.

صمت الضابط (سلمان) قليلًا، ثم ألقى نظرة حادة على (يوسف) وأردف حديثه قائلًا:

- الأدهى أن ستة من هؤلاء الكُتّاب الذين هاجمتهم في حسابك دون رحمة تذكر، عثر عليهم وهم قتلى وبأبشع صورة لا يمكن لعقل سوى استيعابها... أخبرني الآن يا يوسف... هل كانت مجرد صدفة؟ أم أن للنقد أبوابًا أخرى فيخبئ ما هو أعمق من الكلمات؟

ارتجف (يوسف) للحظة، ثم سرعان ما حاول أن يبدو ثابتًا أما هذا الاتهام المبطن، وقال بصوت متقطع يخفي اضطرابه:

- النقد ليس جريمة... ولا دليل لديكم يربط بيني وبين ما حدث لهم، ثم ماذا سأستفيد من وراء قتلهم؟

أجابه (سلمان) بثبات قائلًا:

- المتهم بريء حتى تثبت إدانته، نعم... لكن، كما هو موثق في ملفكَ، أن لديك من الدوافع ما يكفي لارتكاب أي فعل أحمق، ونحن هنا الآن لنتناقش، أما أنتَ... عليك أن تمنحنا إجابات واضحة، لتبعد عنك أية شبهة.

(عبدالله) الذي ظل صامتًا طوال الوقت، تدخل بعد أن رفع رأسه ونظر لـ (يوسف) وكأنه تذكر شيئًا قد غاب عن ذهنه لبرهة، ثم سأله بنبرة باردة، قاسية مشبعة بالصرامة:

- هل تملك سيارة من نوع (رام) الأمريكية؟

التفت (يوسف) ناحيته ببطء، وأجاب بهدوء غامض، لكن ملامحه خانته، فقد كان وراء صوته ارتجاف لم ينجُ من أعين المحققين:

- نعم لدي هذه السيارة.

سكت ثوانٍ محاولًا تمالك نفسه ثم أكمل:

- وما شأن امتلاكي لهذه المركبة بتلك القضية؟

أجابه (عبدالله) ببرود متعمد، كمن يلقي طُعمًا في الماء:

- وسيلة نقل جيدة لنقل بقرتين بداخلها.

تغيرت ملامح (يوسف) فجأة، ولاح على وجهه توتر لم يستطع إخفاءه، ثم انفجر بحدة قائلًا:

- إلى أين تريد الوصول بهذه التلميحات؟ هل تظن أنني أنا مَن قمت بنقل الضحايا كلهم؟ أم أنك تتهمني بتعقبهم وجرهم إلى المواقع المظلمة التي انتهى بهم المطاف إليها، وتحولت لمسرح جرائمهم؟

بانت علامات الامتعاض على وجه (سلمان) وهو يحدق في زميله وغير موجة الحديث:

- ما الذي يربطك بهؤلاء المؤلفين كلهم الذين هاجمتهم، وعلى الأخص الضحايا منهم؟ ما السر وراء عدائك الدائم لهم؟

لم يتأثر (يوسف)؛ بل ابتسم ابتسامة باردة مصطنعة، وأجاب بسخرية:

- وهل تُسمي أولئك مؤلفين، هؤلاء مجرد مرتزقة للكتابة، وصمة عار في جبين الأدب، لقد وجدوا في الأدب مجالًا جيدًا لنقل سخافتهم والوصول إلى الشهرة الزائفة، لا يوجد لدينا مؤلفين حقيقيين، ما تراه الآن كله في الساحة الأدبية مجرد قمامة قذفتها الرياح لتلتصق على أسوار المعارض والمكتبات.

تجاهل (سلمان) هذا العرض الفلسفي، واقترب منه خطوة، وعيناه كعيني صقر يوشك أن ينقض على فريسته، ثم سأله سؤالًا آخر مباشرًا:

- هل لديك حجة غياب؟ هل يمكنك إثبات مكان وجودك في الليالي التي سبقت مقتل الضحايا الثلاثة الأوائل، تحديدًا بعد منتصف الليل؟ وماذا عن الليلة التي سبقت مقتل الضحايا الآخرين؟

أجابه (يوسف) بهدوئه المستفز، هدوء لا يتناسب مع خطورة موقفه:

- كنت في شقتي... أمارس طقوسي التي أقوم بها كل ليلة.

ضيّق (سلمان) عينيه، وشعر بأن خيوط القضية تزداد تشابكًا وقال:

- طقوس! وما تلك الطقوس التي تقوم بها؟ هل لك أن تشرح لنا ذلك؟

رد (يوسف) على (سلمان) بملل، وكأنه يلقى بفتات المعلومات لإشباع فضوله المؤقت، وقال:

- كل ليلة بعد العاشرة، أنعزل في عالمي الخاص، أحيانا أفتح بثًا مباشرًا على إحدى منصات التواصل الاجتماعي، وأحيانًا أخرى أغوص في قراءة بعض الكتب حتى ينتصف الليل.

التقط (سلمان) طرف الخيط على الفور، وعقد حاجبيه متسائلًا:

- قلت إنك تبث على برامج التواصل الاجتماعي... هل لديك ما يثبت ذلك؟

صمت (يوسف) للحظة، وراح ينظر للسقف كمن يستدعي ذكرى بعيدة ثم قال ببطء:

- المشكلة أنني خلال الأسبوع الماضي لم أقم بأي بث، لقد كرست وقتي بالكامل للقراءة، وتحديدًا لمناقشة أعمال أولئك المؤلفين في

معرض الكتاب الذي تم إيقافه.

هنا تدخل (عبدالله) الذي كان يراقب الحوار بصمت، وألقى بسؤاله الحاسم كقذيفة وقال:

- هل لديك أي دليل أو إثبات على وجودك في شقتك كما ادعيت؟

تأفف (يوسف) بضجر، ثم أجاب بنبرة تحمل في طياتها مرارة العزلة، وقال:

- المصيبة أنني أعيش وحيدًا منذ انفصالي قبل عامين، وعلاقاتي مع الناس شبه معدومة، أغلب القراء الذين يشبهونني يعشقون العزلة، مثلي تمامًا، وإجابتي على سؤالك، هي نفسها إجابتي على زميلك، كنت في شقتي وحيدًا.

قال المحقق (سلمان) بهدوء يخفي وراءه عاصفة من الشكوك:

- إجاباتك تفتقر إلى الدقة يا سيد يوسف، الادعاء بوجودك في المنزل لحظة وقوع الجريمة هو أسهل الأعذار وأكثرها اهتراءً، نحن نحتاج دليلًا ماديًا واضحًا، شاهد عيان، فاتورة مطعم أو تذكرة سينما... أي خيط رفيع قد يبعد عنقك عن حبل المشنقة، أما مجرد كلماتك تلك، فهي في ميزان العدالة لا قيمة لها.

مرت على ملامح (يوسف) سحابة من الغضب حاول إخفاءها دون جدوى وقال بصوت مختنق:

- هل تلمح إلى إنني أنا مَن قمت بقتلهم؟

تدخل (عبدالله) بنبرة حادة كشفرة جراح وقال:

- حتى هذه اللحظة لم تقدم عذرًا يقنع طفلًا؛ بل إن ثقتك الزائدة بنفسك تثير الريبة، سلوكك هذا قد يكون تمويهًا لإبعاد الشبهات عنك، الدلائل تشير إلى وجود دافع قوي لقتل الضحايا، ناهيك عن ملفك النفسي المقلق في مستشفى الأمراض النفسية، وتاريخك الحافل بالصدامات العنيفة مع المؤلفين.

انتفض (يوسف) واقفًا، قاطعًا حديث (عبدالله) بحدة وعصبية ظاهرة وقال:

- لست مجاملًا في نقدي للكتب، وصراحتي القاسية هي ثمن يدفعه المؤلفون الرديئون، وهذا شأني وحدي... أما محاولتكم الرخيصة لربط مشاكلي النفسية بهذه القضية، فهذا ما لن أسمح به.

كسر هنا (سلمان) موجة الجدال، وحاول تهدئة الأمور موجهًا كلامه إلى (يوسف) الذي جلس أمامه، وقال:

- نحن هنا لمساعدتك يا يوسف لا لاتهامك، الأدلة كلها تشير إليك، والشبهات تحوم حولك كنسر يتربص بفريسته، امنحنا دليلًا واضحًا يبعدك عن دائرة الشكوك، ساعدنا كي نساعدك.

قاطعه (عبدالله) بنبرة أكثر صرامة، وهو يلقي بملف التحقيقات على الطاولة محدثًا صوتًا مدويًا وقال:

- تحرياتنا تؤكد تهديدك للكاتب (طلال نصير) بالقتل، بعد محادثة محتدمة مسجلة عبر تطبيق (الإنستجرام) تكشف قولك بالحرف الواحد: (لن أتردد لحظة واحدة في قتلك لو أتيحت لي الفرصة)، وهذه الكلمات وحدها كفيلة لإدانتك، الآن... استرجع شريط الأحداث

في عقلك، وابحث عن مخرج قبل أن يطبق عليك هذا الاتهام.

صرخ (يوسف) وهو يرتعد غضبًا، وقد تلاشت آخر ذرات رباطة الجأش، بعد هذا الحديث، وقال:

- هذا ما لدي كله، لا أملك أية إجابات أخرى.

ببرود محترف، لملم (سلمان) الأوراق المبعثرة أمامه، وقال بحسٍ رسمي لا يقبل الجدال:

- أستاذ يوسف، بِناءً على ما سبق، نحن مضطرون لاحتجازك هنا لاستكمال التحقيق، ومن بعدها إحالتك إلى النيابة العامة بتهمة القتل العمد، إلى أن تُقدم ما يثبت براءتك بأدلة دامغة.

تجمدت نظرات (يوسف) وجحظت عيناه، كأنه غير مصدق لما سمعته أذناه، حاول عبثًا أن يجمع شتات أفكاره، فلم يكن ليتخيل يومًا أن دائرة الاتهام ستضيق حول عنقه إلى هذا الحد.

بإشارة من الضابط (عبدالله)، تقدم أحد أفراد الشرطة نحو (يوسف) لتنفيذ أمر الاحتجاز، تمهيدًا لعرضه على النيابة العامة في صباح اليوم التالي، سقط الخبر على (يوسف) كالصاعقة، فرسم على وجهه قناع الذهول والدهشة، وعيناه تصرخان بالأسئلة الحائرة.

بعد أن أغلق باب غرفة التحقيق خلف (يوسف)، الذى ترك خلفه فراغًا وسكونًا ثقيلًا، التفت (عبدالله) إلى (سلمان) وسأله بنبرة تحمل شيئًا من الشك، قائلًا:

- هل تعتقد أننا تسرعنا في اتهامه؟ هل الاتهامات التي بين أيدينا كافية حقًا لإدانته بالقتل؟

أجابه (سلمان) بهدوء الواثق من خطواته، وهو يجمع أوراقه:

- ما قمنا به كله هو الإجراء الطبيعي في مثل هذه القضايا، يوسف متهم حتى تثبت براءته، والمعطيات المتوافرة كلها لدينا حتى هذه اللحظة تشير إلى أنه يمتلك دوافع واضحة للجريمة، واجبنا الآن هو استصدار إذن بتفتيش شقته في أسرع وقت ممكن، فربما نجد هناك ما يفك طلاسم هذه الجريمة، وفي الوقت ذاته، سنواصل البحث عن خيوط أخرى قد تقودنا إلى متهمين جدد، هذا هو المسار الطبيعي لمثل هذه القضايا المعقدة يا سيادة الضابط، أم أنك نسيت كيف نعمل!

ضيّق (عبدالله) عينيه باهتمام، وهو يحك ذقنه متفكرًا في كلام صاحبه، وقال:

- هل لديك مشتبه بهم آخرين تدور حولهم الشكوك؟

أجابه (سلمان) بثبات قائلًا:

- الذين خضعوا للتحقيق كلهم كانوا مشتبهًا بهم، ويوسف تحديدًا بدا أكثرهم غموضًا، لم أجد في إجاباته ما يقنعني، أنصحك ألا تثقل بالك بكثرة التفاصيل، ركز على جوهر القضية فقط.

ثم نظر لساعته، وأطلق جملة مباغتة، وقال:

- يبدو أنك أغفلت شيئًا مهمًا.

انعقدا حاجبا (عبدالله) وهو يحاول استيعاب ما يقصده (سلمان)، لكن الأخير لم تكن لديه فرصة للتفكير؛ بل أردف بابتسامة غامضة

وقال:

- الآن... حان وقت التهام شطيرتك اللعينة.

17

يقلب صفحات القضية بين يديه، عيناه كعيني صقر تمسحان كل شاردة وواردة، باحثًا عن تلك القطعة المفقودة التي ستكتمل بها لوحة الجريمة المبعثرة أمامه، لقد أصبحت هذه القضية كابوسًا يؤرق لياليه، شبحًا يطارد هدوءه، لا برهان واضح يقوده إلى الحقيقة، ولا متهم تلوح في الأفق أدلة إدانته.

همس له صوت من أعماقه، صدى لسريرته التي لم تخطئ قَط، بأن زميله لم يعد كما كان، (عبدالله) الذي كان يومًا يُعد أسطورة بين المحققين، صخرة صماء لا يهزها إعصار، بات اليوم رجلًا تائهًا، يرتدي قناعًا من ابتسامة باهتة، لكن خلف هذا القناع تكمن هزيمته التي لا يراها إلا مَن يعرفه حق المعرفة.

وضع القلم جانبًا، وأغمض عينيه للحظة، في الظلام رأى وجه صاحبه، ورأى فيه (شهريار) معاصرًا، رجلًا فقد ثقته في كل نساء الأرض، تنهد فجبال هذه القضية لا تزال جاثمة على صدره بثقلها كله، عادت به الذاكرة إلى تلك الليلة المشؤومة... ليلة القبض على (عبدالله) وهو على وشك أن يرتكب ما لا يحمد عقباه، بعد أن مزقت خيانة زوجته روحه، ولولا رحمة القدر التي تدخلت في آخر لحظة، لكانت الآن في عداد الموتى؛ خرج (عبدالله) من تلك المعركة بقلب محطم وروح جريحة، بعد أن تأكد أن الخيانة كانت حقيقة وليست مجرد وهم.

منذ تلك الليلة، وُلد (عبدالله) من جديد، لكنه كان مولودًا مشوهًا بالشك والكراهية، أصبحت النساء كلهن في نظره مجرد ظلال خائنة،

كائنات لا تعرف للوفاء سبيلًا، كان يعاملهن بقسوة جليدية، إلا امرأة واحدة؛ (فاطمة)، التي كانت في حياته كـ (شهرزاد) تحاول أن تداوي جراحه بحبها الصامت، لكنه في عماه لم يرَ فيها إلا تهديدًا جديدًا، فكان يقابل حنانها بصلف، وعطاءها بجفاء، لولا أنها شقيقته، لكانت اليوم مجرد ضحية أخرى في سجل ضحاياه، غارقة في مستنقع شكوكه الذي يلطخ كل من تدهسه قدماه.

(فاطمة) أو (شهرزاد) كما يحلو لنا أن نسميها، هي الأخرى تحمل ندوب ماضٍ أليم، بعد أن خرجت من تجربة زواج فاشلة، أصبحت الملاذ الأخير له، تحاول أن تكون له كل شيء، وأن تمنحه ما سلبه منه الزمن، لكنها كانت تبني قصرًا على رمال متحركة.

كانت (فاطمة) تسير على حقل ألغام، تحاول بيأس ترميم ذلك الصدع الذي شق قلبه نصفين، وإعادة الروح إلى رجل لم يعد يرى في الحياة إلا ظلال الموتى، لقد اختفت حيويته خلف ستار الصمت، حاولت مداواة جراحه التي أبت أن تندمل، عاملته كأم تحتضن ابنها المكلوم، وعاملها هو كولد عاق لا يهتم بمشاعرها، اهتمت بأدق التفاصيل في حياته، في محاولة يائسة لإيصال رسالة واحدة فحواها (أنا هنا، ولن أتخلى عنك).

لكن رسالتها كانت تصل دميمة مشوهة، فالجدار الذي بناه حول قلبه كان أعلى من أن تجتازه، أقوى من أن تخترقه، لم يتبقَ لهما في الحياة المشتركة بينهما سوى بقايا ذكريات، وبيت يجمعهما كغريبين تحت سقف واحد. كان انعدام الثقة سرطانًا ينهش كل لحظة صفاء، فيتخيلها في كل زاوية، ويرى في وجهها وجه زوجته الخائنة،

فينتقم منها بإهماله القاتل.

أما تلك الشطيرة اللعينة التي كانت تعدها له كل صباح قبل ذهابه إلى العمل، فقد أصبحت طقسًا من طقوس الكراهية، كانت الرابط الوحيد الذي يذكرهما بطفولتهما، في إحدى الليالي، وبينما كان الهدوء يلف المنزل، اخترق سكونه صوت محادثة هاتفية هامسة آتية من غرفة (فاطمة) اشتعلت نار الشك في رأسه من جديد، تخيل زوجته تعود من منفاها لتهمس في أذنه... (فاطمة)، لم يسمع من حديثها سوى همهمات متقطعة لكن خياله المريض نسج منه حوارًا شيطانيًا، لتغلي الدماء في عروقه، ويحدث نفسه قائلًا: (أيتها الملعونة... تنتهكين حرمة بيتي وتخونينني مع سافل آخر أفاك مثلك، النساء كلهن ثعابين، يلدغن اليد التي تحب وتُطعم).

في تلك اللحظة، استيقظ الدب الجريح الذي بداخله، وكشر عن أنيابه التي برزت من بين شفتيه، وأبرز مخالبه ومن ثم اقتحم غرفتها دون استئذان، وانقض عليها كوحش كاسر، دون أن يكلف نفسه عناء السؤال، فهو لم يسأل عن هوية الشخص الذي كانت تحادثه، فقد كان شيطان امرأته مستوليًا على عقله، ولعب برأسه لعبة الانتقام القذرة، وبعد أن رسم على جسمها خريطة الكدمات والإصابات، فارقها ورحل، تاركًا إياها غارقة في بئر من الظنون لا يرتوي.

ظلت (شهرزاد) حبيسة غرفتها، تبكي في صمت، لا تلملم جراح جسمها بقدر ما كانت تحاول تضميد جراح روحها التي تنزف بمرارة الخذلان والخيبة، تبحث عمن يواسيها، وعمن يداويها، وهي تعلم

أن الدواء الوحيد هو نفسه سبب الداء، اسودت الدنيا في عينيها، وقعت في فم اليأس الذي لا يرحم من يدخل جوفه، لم يعد في خلدها سوى فكرة واحدة، سوداء كليل لا قمر فيه (لا شيء يستحق الحياة فالذين نمنحهم قلوبنا كلهم، في النهاية يغمدون سيوفهم في صدورنا).

في ذلك الوقت، اتخذت قرارها الأخير، القرار الأصعب التي ظنت أنه سيضع حدًا لحياتها البائسة، لم يكن انتحارًا بالمعنى الحرفي؛ بل كان تضحية، لقد قررت أن تنتظر، أن تمنحه فرصة أخيرة ليعود إلى رشده، فإن لم يفعل، فلتكن هي النحلة التي تموت دفاعًا عن خليتها، حتى وإن كانت خلية من وهم.

عاد (عبدالله) إلى البيت في وقت متأخر، محملًا بأوراق قضايا لم تحل، جلس في الصالة يقلب الأوراق بيده، وعقله شارد يفكر في إكمال طقوسه العقابية اليومية، لكن شيئًا ما كان مختلفًا، فبعد بضع دقائق رن جرس الباب، خرج ليجد أمامه سائق توصيل الطلبات، يحمل بيده كعكة بيضاء، ويمدها إليه، عقد حاجبيه في حيرة، أخذ الورقة المرفقة، قرأ اسمه عليها، دلف للداخل ثم فتح العلبة، ليجد جملة وحادة مكتوبة بعناية:

(كل عام وأنتَ بخير أخي الغالي عبدالله).

لمع تاريخ اليوم في ذهنه كبرق خاطف، إنه عيد ميلاده، جلس على كرسيه الإسفنجي، وشعر بثقل العالم كله على كتفيه، عاد عقله المغلف بالشك إلى العمل، ربط جميع أحداث اليوم، من همس (فاطمة) في الهاتف، إلى الكدمات التي تركها على جسمها، وصولًا

لهذه الكعكة التي جاءت كرسالة من عالم آخر، لقد وصل إلى نتيجة، جعلت قلبه يتوقف للحظة، لقد أدرك أنه كأنه مخطئًا، وأن شقيقته كانت تُعد له مفاجأة، وأنه في جنون شكه، قد دمر كل شيء.

لعن إبليس في سره ألف مرة، ولم يدرِ أن شيطانًا آخر كان يختبئ خلف أحد الحيطان، يضحك على اندفاعه الأعمى، مبتهجًا بالنتائج التي سارت تمامًا كما أراد، وفي تلك اللحظة الفارقة، لم يجد أمامه سوى خيار واحد؛ وهو الاعتذار، وتبًا لهذا التسرع الغبي.

نهض من مكانه، لكن كبرياءه المنكسر كان يدفعه خطوة إلى الوراء كلما تقدم خطوة للأمام، كان يظن أن كبرياءه سينقص منه شيئًا إن هو استسلم بهذه السهولة، لكنه في النهاية قرر الدخول عليها، وعند فتحه لباب غرفتها، رأى مشهدًا لم يكن ليتخيله حتى في أسوأ كوابيسه، شقيقته ممددة على فراشها، بلا حراك، في البداية لم يعلم إن كانت ميتة أم مغمًى عليها بسبب الضرب، تقدم نحوها، وحاول أن يوقظها، لكنه لم يجد أية استجابة.

المؤشرات كلها كانت تصرخ بالحقيقة المرة (لقد فارقت الحياة)، قلبه الذي لا يعرف الخفقان إلا قسوةً، بدا يرتجف رعبًا، وفي ذهنه توالت السيناريوهات المرعبة، في ألف ليلة وليلة تغلبت (شهرزاد) على (شهريار)، أما في قصة (عبدالله)، تمكن الموت من (شهرزاد) وانتصر (شهريار) بالشك، ليجد ضحيته ممددة أمامه.

وفي لحظة يأس، حملها بين ذراعيه اللتين أمسكتا بها بتشبث خوفًا من ضياعها إلى الأبد، وانطلق بها نحو المستشفى، كانت تنازع الرمق الأخير من حياتها، وقلبها -لا يزال- يخفق بنبض واهن، تلقفتها

الممرضات، وحاولن إنعاشها بشتى الطرق، لقد ابتلعت قدرًا كبيرًا من الحبوب التي كادت أن تقضي على حياتها، وبعد فحص دقيق ومحاولات شبه يائسة لإنقاذها، أدخلوها إلى غرفة العناية الفائقة.

عاد إلى بيته يجر أذيال الخيبة والندم، دخل ليجد تلك الكعكة اللعينة شاهدًا أبكم على حماقته، تنتظره في سكون مهيب، لا يدري هل سيفيق من كابوسه في اليوم التالي ليجدها لا تزال حية؟ أم أن شمس اليوم الجديد ستشرق عليه وهو وحيد؟ ولم تذق عيناه طعم النوم ليلتها.

ومع شروق أول شعاع للنور، ارتدى ملابسه، وهم بالخروج إلى المستشفى، هنا فقط تذكر شيئًا مهمًا عندما نظر ليده، وكانت فارغة هذه المرة، لم يحمل معه كيس الشطيرة التي كانت تعدها له يوميًا بكل حب، مملوءة بالطماطم والبصل والجبن السائل، تذكره بحب لم يعد له وجود، أن هناك مَن كان يهتم لأمره وفقده.

ابتلع حسرته التي علقت في حلقه كقطعة من زجاج، أغمض عينيه في محاولة يائسة للهروب من الحقيقة، وفي ظلام عينيه، وعد نفسه وعدًا قاطعًا، بأنها لو عادت للحياة، سيعوضها عن كل شيء، عن كل دمعة، وعن كل لحظة ألم، قلبه الذي كان صخرة صماء، بدأت ينابيع الحب تتفجر من خلاله مجددًا، لكن... ماذا بعد فوات الأوان.

وصل إلى المشفى كطيف تائه، ليخبره الأطباء بأن حياتها معلقة بين السماء والأرض، وأنها الآن تحت رحمة خالقها وحده، ترجى مَن في المستشفى كلهم أن يبذلوا قصارى جهدهم لإنقاذها، ولكن لمَن الأمر! لم يعد بأيديهم، دخل في دوامة جديدة من الانتظار، فكان

يقف كل يوم على مدار أسبوع كامل أمام باب غرفتها، راجيًا من الله أن يبقى الخط المتعرج الموجود على الشاشة صامدًا، لا يريد أن يراه بخط يستقيم أبدًا، يدعو ربه كل ليلة أن تعود كما كانت، أن تعود حياة (فاطمة) التي ذبلت بسبب جفافه.

لكن القدر نفذ قضاء ربه، في ليلة ظلماء، صعدت روحها إلى بارئها، وأعلنوا موتها، بعد أن انتصف الخط المستقيم شاشة جهاز مراقبة القلب، معلنًا بداية فصل جديد من حياة (عبدالله) (شهريار) زمانه، فصلٌ عنوانه: (العذاب الأبدي).

في المنزل، كانت الكعكة قد توسطها العفن، ولم يبقَ سوى تلك الفطيرة اللعينة، ذكرى أبدية للحب الأخوي الذي قتله بتهوره، أصبح يعاقب نفسه بها كل صباح، لعل روحها تسامحه يومًا، ومنذ تلك الليلة المشؤمة، خسر (عبدالله) كل شيء.

وبات يُخفي ذلك الندم كله خلف قناع من السخرية والتنمر، يسود تفاصيل حياته كلها، ليصبح (شهريار) الذي قتل (شهرزاد) الوحيدة التي أحبته بصدق، وهكذا تُسدل الستارة على هذه القصة المأساوية.

أخذ (سلمان) نفسًا عميقًا، وهو يعلم جيدًا أنه من الصعب إعادة ترميم قلب زميله من جديد، ولن يغير قائمة مأكولاته، إلا من تلك الشطيرة التي كانت مصدرًا لاستفزازه يوميًا.

عاد مرة أخرى إلى أرض الواقع، بعدما وضع عينيه على الأوراق قبالته، وأثناء ذلك دخل (عبدالله) وبيده الشطيرة، يزف له خبر أن النيابة العامة قد أخلت سبيل المتهم (يوسف عبدالمحسن) بكفالة مالية.

- سندخل دوامة جديدة إذن يا شهريار.

هذا ما قاله (سلمان) وهو يهز رأسه بأسى، معرباً عن أسفه لبداية فصل جديد، ومتاهة معقده في تلك القضية.

18

خرج الأمر من بين يدي (عبدالله) وزميله (سلمان)، بعدما وصلا لطريق مسدود، فخيوط القضية كلها تقود إلى اللا شيء، القاتل لا يزال طليقًا، ينتظر فريسته التالية، بينما هما يقفان عاجزين، لا يملكان دليلًا واحدًا يقدمانه للعدالة، المشتبه به الرئيسي، الذي لم يترك خلفه أثرًا، خرج بكفالة مادية بعد أن فشلت النيابة في إثبات أي شيء ضده، رغم المؤشرات كلها التي كانت تدينه.

وجاءت الطامة الكبرى، عندما أبلغتهم الدكتورة (حنان سالم)، زوجة الكاتب المشهور (مرزوق محمد)، باختفائه عن الأنظار، هذا الاختفاء المفاجئ كسر ظهريهما، وجعلهما يغوصان في سيناريوهات أكثر قتامة، هل أصبح (مرزوق) ضحية جديدة لهذا القاتل الشبح؟ وهل ستظهر حقيبة تخبئ جثته في أي مكان قريبًا؟

في مركز الشرطة، جلست (حنان) على حافة مقعدها، تهز قدميها في توتر، تترقب أي خبر قد يقضي على جحيم التوقعات الذي انفجر في رأسها، كان (عبدالله) ينظر إليها، يحاول أن يركز لكنه لا يعرف كيف يبدأ أسئلته، لكنه قرر كسر حاجز الصمت الذي يلفه، وسأل بصوت أجش:

- هل لكِ أن تعيدى لى تفاصيل ما حدث؟ لعله غيابه طبيعى... لربما...

قاطعته بنظرة حادة، ووجه شاحب تركت الدموع عليه أثرها، وقالت:

- مرزوق لا يغيب هذا الوقت كله دون أن يخبرني... مستحيل.

مط (عبدالله) شفتيه، وهو يهز رأسه محاولاً أن يصوغ سؤاله بطريقة مختلفة وقال:

- كما تقولين، جهاز هاتفه مغلق منذ ظهيرة أمس، بعد أن قال لك إنه ذاهب إلى أحد المقاهي التي اعتاد ارتيادها في منطقة حولي.

أومأت برأسها موافقة على كلامه، في جو مشحون بالترقب، لكن الصمت هنا، كان سيدًا للموقف، وفي هذه الأثناء دخل الضابط (سلمان) يرمق (حنان) بنظرات شكٍ واضحة، ثم جلس أمامها بهدوء محسوب، وألقى بقنبلته الأولى حين قال:

- لقد قلبنا الأرض، واستنفدنا مواردنا كلها في البحث والتحري، وتواصلنا مع شركة الاتصالات، كانت آخر مكالمة أجراها مرزوق مع صاحب دار النشر المتعاقد معها، كان يريد أن يستفسر عن تفاصيل سفره إلى جدة، لحضور معرض الكتاب الدولي المقرر إقامته هناك الشهر القادم، ومن بعد تلك المكالمة، انقطع الإرسال، لا اتصال، لا رسائل، لا شيء، هاتفه لم يعد مغلقًا فحسب؛ بل أصبح شبحًا في شبكة رصده.

انتفضت (حنان) واقفة، وقد بلغ التوتر منها مبلغه، وصاحت بصوت مختنق بالخوف:

- كل دقيقة تمر هي خنجر يقترب من حياة زوجي... أرجوكم... عليكم إيجاده قبل أن أسمع الخبر الذي سيحطمني.

تجمد الهواء في الغرفة، وقف المحققان كتمثالين من حجر، لا

يعرفان كيف يكسران الحيرة الذي بنتها (حنان) حول نفسها، وبعد لحظات بدت كالدهر، تقدم (عبدالله) خطوة منها، ونبرته تحمل عبء سنوات من الخبرة القاسية في عالم الجريمة، وقال:

- من خلال خبرتي المهنية، وحدسي الذي لم يخطئ يومًا في عملي، يصرخان باسم واحد (يوسف)، القارئ الذي أطلق سراحه بكفالة صباح أمس، والآن هو في الخارج، ينسج شبكته حولنا، إنه لا يريد أن يختبئ؛ بل يريد أن يلعب معنا لعبة القط والفأر، يبعث برسالة واضحة ومخيفة (أنا هنا، وأنا من يتحكم في كل شيء)، وخوفي الأكبر... أن تكون حركته القادمة هي كشف الستار عن جثة مرزوق.

كانت الكلمات قاسية، حادة كشظايا الزجاج، استدار (سلمان) نحو زميله، ونظرة لوم باردة في عينيه، وكأنه يقول (ليس الآن، ليس أمامها)، حاول تدارك الموقف، وخاطب (حنان) بصوت هادئ مصطنع، لا يتناسب مع العاصفة التي تدور في الغرفة، وقال:

- سيدتي، أرجوكِ تمالكي نفسك، لا يزال هناك أمل، صحيح أنه لا توجد لدينا أدلة مادية أو قرائن حتى هذه اللحظة، لكن أعدكِ بأننا سنقلب الدنيا رأسًا على عقب من أجل إعادة زوجك سالمًا.

كلماته كانت كهمس في مهب الريح، لم تفعل شيئًا سوى أنها فجرت السد المنيع الذي كانت (حنان) تبنيه حول مشاعرها، وانتصر التوتر على صمودها، انسابت الدموع بصمت، بينما خيم يأس ثقيل عل الأجواء، نهضت من مكانها وغادرت الغرفة بخطى مثقلة، تاركةً خلفها فراغًا مدويًا.

ما أن أغلق الباب، حتى قفز (سلمان) من مكانه، وواجه (عبدالله) بنبرة حادة لم يعد يُخفيها:

- إلى متى ستستمر في لعب دور الجراح الذي يبتر الأمل دون تخدير؟

لا تتعامل مع أهالي الضحايا بهذه الطريقة الفظة، في عالم الشرطة غياب الدليل ليس برهانًا على الموت، هذا يعني أن الاحتمالات كلها -لا تزال- على الطاولة، وخيط النجاة لم يُقطع بعد، كف عن هذا التهور غير المحسوب، ولا تجعل من مأساتك الشخصية سيفًا تلوح به في وجوه الآخرين، فكر جيدًا قبل أن تسمح لذلك اللسان بأن يسكب سمه.

لم يرق لـ(عبدالله) هذا الهجوم المباشر، خطى بضع خطوات، وواجه (سلمان) بوجهٍ بارد كجليد القطب الشمالي، ونظرات تخفي خلفها براكين من الغضب المكتوم، وقال بهدوء:

- أنا لا اقصد إيذاء مشاعرها يا سلمان، لم أكن أستعرض قسوتي؛ بل كنت أحاول هزها وكسر جدار الصدمة لأرى ما خلفه، كنت أبحث عن شرارة في الظلام، لأستخلص منها أية معلومة، أية ردة فعل، أي شيء قد يكون عالقًا في ذهنها المشوش. أرجوك... لا تربط هذا بوفاة شقيقتي، موت (فاطمة) كان قدرًا محتومًا، حقيقة قاسية لم يكن ليهزمها أي أمل، لقد ماتت المشاعر التي تقصدها في داخلي يوم رحيلها هي.

هز (سلمان) رأسه بأسى، كأنه ينظر إلى رجل غارق، لم يعد يرى العالم إلا من زاوية تلك المأساة القديمة، وقال:

- المشكلة ليست في أحاسيسك يا صديقي؛ بل في أنك تتعامل مع الناس بمنطقك اللا واعي، تظن أنك تراعي مشاعر الآخرين، بينما أنت تعاقب نفسك بالنشوة الخفية التي تشعر بها عندما ترى جراحهم، كأنك تريد أن تنظر للجميع وهم يتألمون مثلك، لتشعر بأنك لست الوحيد الغارق في هذا الجحيم.

للحظة، تمنى (عبدالله) لو أن كلمات صاحبه كانت رصاصة حقيقية لتنهي عذابه، شعر بالدم يتدفق إلى وجهه؛ ليس خجلًا، إنما هو غضب عارم من هذا الهجوم القاسي لجرحه القديم، تمنى في هذه اللحظة أن يطبق يديه على رقبة (سلمان) ثم قال:

- لا تحاول أن تقرأ ما في روحي... إذا كنت ترى أنني لا أكترث لمشاعر مَن هم حولي، ولا تتجرأ على تحليل إحساس لا يخصك، فبالنهاية الجرح لا يؤلم إلا صاحبه، فالألم يا صاحبي أغنية صامتة لا يسمعها إلا مَن ينزف، واعلم شيئًا... منذ ذلك اليوم وأنا أمارس طقوسي المقدسة في إعادة إحياء أثر مَن غابت تحت التراب، إن لم ترَ يومًا تلك الشطائر اللعينة كما أحببت أن تسميها في يدي، حينها يحق لك أن تصفني بعديم المشاعر.

كانت الكلمات تخرج منه كالحمم البركانية، اعترافا صارخًا بالدرع الذي سلح به روحه المفطورة، لكن... وقبل أن يتمكن (سلمان) من الرد، فُتح الباب فجأة، واندفعت (حنان) إلى الغرفة مرة أخرى، وعلامات الربكة مرسومة على ملامحها، لم تكلف نفسها عناء الاستئذان، وهي تقول:

- مرزوق على الهاتف... يطلب منكم النجدة!

تجمد المحققان في مكانهما، عيونهما متسعة في ذهول تام، كانت المفاجأة غير متوقعة على الإطلاق، قلبت نظرياتهم كلها رأسًا على عقب، وفي حركة خاطفة، انتزع (سلمان) الهاتف من يد حنان المرتجفة، يريد فهم ما يحدث.

19

جاء الصوت عبر الهاتف كهمس شبح قادم من بئر سحيق، حس (مرزوق) الذي عرفه (سلمان) جيدًا، لكنه الآن مشوه بالخوف ومثقل بما لا يمكن للكلمات أن تحمله:

- لا وقت... سلمان اسمعني جيدًا.

توقف كلمات (مرزوق) للحظة، تخللها لهاثه المكتوم، ثم عاد أقوى، وكأنه يستجمع ما تبقى له من شجاعة:

- أنا مخطوف... وأتصل بك من وكر الوحش نفسه.

لم تكن تلك مجرد جملة؛ بل كانت طلقة اخترقت جدار الصمت في غرفة التحقيق، وتركت وراءها فراغًا مدويًا، تجمدت يد (سلمان) الممسكة بالهاتف، وشعر بقطرات العرق الباردة تتشكل على جبينه، وقال بصوت يحاول أن يبقيه ثابتًا لكنه خرج مشحونًا بالارتباك:

- مرزوق... هل أنتَ بخير الآن؟ حدد موقعك، هل أنتَ مصاب؟

جاء الرد متقطعًا ممزوجًا بأنفاس متعبة:

- لا أعرف أين أنا... الظلام يلتهم كل شيء... بالكاد أرى راحة يدي، لست مصابًا سوى من بعض الكدمات، و...

صمت (مرزوق) لثوانٍ، ثم أردف:

- أنا لست وحدي... أسمع حركة في الغرفة المجاورة، خطوات ثقيلة... وهمسات لا أفهمها، لا أعرف ما الذي يريده مني، أو أي جحيم يدور في رأسه.

تجاهل (سلمان) رعشة الخوف التي حاولت التسلق إلى قلبه، وركز عقله على أذنيه محاولًا التقاط أي صوت حول (مرزوق)، فكل ثانية تضيع تعني اقتراب المخطوف من خطر مجهول، ثم قال وهو يضغط على كلماته في محاولة منه لاستخلاص أية معلومة:

- هل رأيت وجهه؟ أية علامة؟ شيء مميز؟ لهجته؟ ملابسه؟ رائحة عطره؟

على الطرف الآخر من الخط، سُمعت شهقة مكتومة، ثم جاء جواب (مرزوق) بصوت لاهث يائس، كان بمثابة إعلان النهاية:

- لا شيء... لا أعرف... لم أتبين هويته، كما قلت لك أنا في غرفة مظلمة، ما أريده كله هو مساعدتكم في أسرع وقت ممكن.

أدرك (سلمان) في جزء من الثانية ما يقصده (مرزوق) وقال بثبات الصخر في وجه العاصفة:

- مرزوق اسمعني... لا تغلق الخط، أترك الهاتف مفتوحًا مهما حدث، سنستخدم الإشارة لتحديد موقعك، ابقى هادئًا، واكسب لنا الوقت.

كانت كل كلمة موجهة لـ(مرزوق)، لكنها في الحقيقة كانت أوامر لفريق التحريات الذي بدأ يتحرك كخلية نحل غاضبة حوله، بعد أن أشار بعينيه لزميله (عبدالله) الذي فهم تلك الإشارة الخاطفة، وخرج من الغرفة بخطوات سريعة منظمة، وسرعان ما تحول المكتب إلى غرفة عمليات مصغرة.

وبينما كان فريق الاتصالات يعمل بجنون على تتبع الإشارة المتقطعة، ألقى (سلمان) نظرة خاطفة على (حنان) زوجة

المخطوف، التي كانت تقف في الزاوية، ووجهها شاحب كقمر فقد نوره، وعيناها معلقتان به، تبحثان عن بصيص أمل، اقترب منها بهدوء، وقال بصوت حاول أن يجعله مطمئنًا قدر الإمكان:

- لا تقلقي... لقد وصلنا للهدف المنشود، زوجك لا يزال بخير، سنعرف مكانه خلال دقائق ونتوجه مباشرة إليه.

أعاد (سلمان) الهاتف إلى أذنه، مركزًا على ما يرده من الجانب الآخر، كان -لا يزال- يسمع أنفاس (مرزوق) اللاهثة، شهيق وزفير متسارعان، كأنه يركض في سباق مع الموت، كان الأخير على قيد الحياة، هذه هي المعلومة الوحيدة المهمة الآن.

وفجأة... شعر (سلمان) بالدم يتجمد في عروقه، حينما اخترق الصمت صوت جديد، عقيرة لم تكن لـ (مرزوق)، كانت باردة، حادة، مهددة لكنها مألوفة، كان يتكلم ببطء، كأنه يتلذذ بكل حرف:

- أيها الملعون... كيف حصلتَ على هذا الهاتف؟ لقد جردتكَ منه بنفسي.

تجاهل (سلمان) كلام الخاطف، مدركًا أن أي رد مباشر سيكون بمثابة إعلان حرب خاسرة، ما يملكه كله الآن هو الصمت، سلاح الأعصاب الباردة الذي يتقنه جيدًا، وهو يردد في عقله (اكسب الوقت... راوغ هذا الوحش... نحن قادمون).

على الجانب الآخر، فُتح الباب، وانسكب ضوء أصفر باهت، كشف عن جدران متسخة وظلال متراقصة.

دخل الخاطف المكان الذي احتجز فيه (مرزوق)، ليجد الهاتف على

أذنه وهو واقف في منتصف الحجرة، يحدق فيه بعينين متسعتين وقال جملته تلك (أيها الملعون... كيف حصلت على هذا الهاتف؟ لقد جردتك منه بنفسي).

صرخ (مرزوق) في وجهه، بصوت مختلط ما بين الخوف والارتباك، وقال:

- ماذا تريد مني... لماذا تخطفني بهذه الطريقة؟

لم يأتِ الرد من الخاطف، إنما جاء من (سلمان)، الذي كان لا يزال على الخط، يسمع كل شيء، كانت تلك هي اللحظة التي انتظرها، فوضى، ارتباك، فرصة، وهو يردد:

- حاول أن تكسب الوقت... راوغ الخاطف، لن نتأخر عن نجدتك.

ساد هدوء مريب لثوانٍ معدودة، سكون أثقل من الرصاص، كان (سلمان) كصياد يترقب فريسته، ثم فجأة... باغته صوت (مرزوق) مرة أخرى، لكنه لم يكن يحمل الخوف، إنما يحمل يقينًا، يقينًا كشف الأمور كله:

- لقد عرفته... لقد عرفته.

كانت تلك آخر الكلمات التي نطق بها (مرزوق) قبل أن يُسمع صوت ضربة مكتومة، ثم انقطع الخط نهائيًا، تاركًا وراءه صمتًا يصم الآذان:

- ألو... مرزوق... ألا تزال على الخط، ألو... هل تسمعني؟

حاول (سلمان) مناداته، لكن لم يكن هناك سوى الطنين الميت للخط المقطوع.

في ذلك الوقت تحديدًا، دخل (عبدالله) للغرفة مرة أخرى، بوجهٍ متجهم، لكن عينيه تلمعان ببريق الانتصار، ونظر إلى (حنان) التي كانت تقف متجمدة من الرعب، والقلق يكاد يمحو ملامحها، ثم التفت إلى (سلمان) وقال:

- لقد حددنا مكان مرزوق.

لم ينتظر (سلمان) ثانية واحدة، أسقط الهاتف من يده، وقال بنبرة قائد في ساحة المعركة لا تقبل الجدال:

- ليس لدينا المزيد من الوقت... تحركوا الآن.

بينما (سلمان) ورجاله يندفعون نحو الباب كقوة لا يمكن إيقافها، توجهت (حنان) إليهم وصوتها يرتجف لكنها مصممة على قرارها:

- سأرافقكم إلى هناك.

توقف (عبدالله) واستدار ليواجهها، كان جسمه الضخم بمثابة جدار يفصل بينها وبين الخطر المجهول، ثم قال لها بحزم هادئ، لا يخلو من لمسة التعاطف:

- سيدتي... لسنا ذاهبين في نزهة إلى مجمع (الأفنيون)، المكان الذي سنتوجه إليه شديد الخطورة، من الأفضل لكِ أن تبقي هنا، وسنوافيكِ بالتفاصيل كلها فور تأمين الموقع.

لم يترك لها مجالًا للجدال، أومأ برأسه إيماءة أخيرة ورحل، تاركًا إياها في غرفة العمليات التي بدت فارغة وموحشة.

انهارت (حنان) على أقرب كرسي، وتسلل إليها إدراك مرعب

بأنها تقف على حافة الهاوية، وأن أية حركة قد تكون الأخيرة، اعتصرت يديها بقوة، كأنها تحاول منع القلق من تمزيقها إربًا، كل خلية في جسمها تصرخ بالدعاء من أجل سلامة حبيبها وشريك حياتها؛ في تلك اللحظة، تذكرت أنها ليست مجرد زوجة خائفة، هي متخصصة في علم النفس، مدربة على رباطة الجأش في أحلك الظروف، أغمضت عينيها، وبدأت في تطبيق تقنيات التنفس التي طالما نصحت بها مرضاها، في محاولة يائسة منها لإيجاد جزيرة الاسترخاء النفسي في خضم هذا المحيط الهائج بالخوف.

20

في قلب (الفروانية)؛ حيث تتشابك الشوارع كشرايين مدينة لا تنام، كانت تقف بناية إسمنتية باهتة، مكونة من تسعة طوابق، تخفي في طابقها السابع شقة بسيطة الأثاث، أصبحت الآن مسرحًا لجريمة صامتة.

في وسط الشقة، جلس رجل ممتلئ الجسم، وجهه منفخ قليلًا وتغطية لحية خفيفة لم تزَ شفرة الحلاقة منذ أيام، كانت عيناه مثبتتين على السكين الحاد الذى يرقد أمامه، وبجانبه فنجان قهوة باردة لم يُرتشف منها قطرة، لم يكن يهتم بأي شيء آخر، فعقله كان يدور في حلقة مفرغة إلا من سؤال واحد: (كيف لهذا الحقير الحصول على الهاتف الذي تركته في جيبي؟).

كانت الأفكار تتصارع في رأسه بعنف، كوحوش حبيسة في قفص ضيق، وقلبه يدق بقوة، ليس من الخوف؛ بل من الغضب، حاسته السادسة، تلك الغريزة الحيوانية التي أنقذته مرارًا، كانت تصرخ الآن، تنبئه بأن الخطر يقترب، وأن كل دقيقة تمر هي خطوة نحو النهاية.

وفجأة... تمزق ستار الصمت بصرخات مكتومة، قادمة من الغرفة المجاورة، صوت (مرزوق) الباكي اليائس:

- اخرجني من هنا... أقسم لك إنني لن أبلغ عنك أحد.

وقف الخاطف، وتحرك نحو مصدر الصوت كظلٍ أخرس، قال بنبرة مهزوزة:

- أصمت... لا أريد سماع صوتك... لماذا أبقيتك على قيد الحياة

طوال هذا الوقت ولم أجهز عليك؟ لماذا تركت القهوة تبرد؟ وكيف استطعت أنت، أيها الأحمق، أن تحصل على الهاتف وتتصل برجال الشرطة الذين سيأتون لإنقاذك؟

ضحك ضحكة ساخرة خافتة، خالية من المزاح، ثم أكمل كلامه قائلًا:

- كنت أظن أنني لن أخطئ أبدًا، كنت دقيقًا في خطواتي كلها، لكن لا يهم الآن، فأنتَ لن تبقى حيًا لدقيقة أخرى.

بينما كان (مرزوق) لا يزال يصرخ ويتوسل، بدأت أنفاس القاتل تتسارع، وحلت على ملامحه حالة من الارتباك والغضب، تقدم بخطوات مترددة نحو الطاولة، ومد يده ليمسك السكين الحاد الذي كان يحدق به قبل دقائق، كان لامعًا وجاهزًا لإنهاء كل شيء.

كانت عيناه شاردتين، غارقتين في أفكار لم تعبث به من قبل، هو ليس من المتمرسين في القتال، ضحاياه السابقون كلهم أجهز عليهم بالزعاف السائل، سم لا يترك الضحية إلا وهي جثة هامدة، ولا يتطلب أية قدرة بدنية، أما الآن فالمواجهة مباشرة، عاد خطوتين للوراء، يتمنى لو كان لديه مسدس، فهو يعرف نفسه جيدًا، جبان لا يقوى على المواجهة، والمسدس الذي كان سيمنحه الأمان ليس سوى درع صنع للجبناء.

بدأ الخوف يلعب به، يضيق عليه الخناق، هل يفتح الغرفة ويقتله؟ أم يهرب ويترك المخطوف وراءه؟ لم يعد يعرف ماذا يفعل؟

وأثناء مصارعته لنفسه وأفكاره، فتح باب الغرفة بسرعة، وهو

يرتدي سترة تحجب أغلب ملامح وجهه، وسكينه الخاص يلمع بيده، ليجد (مرزوق) متقرفصًا على نفسه في الزاوية، ثم قال بكلمات واضحة كضوء النهار:

- ليس أمامي أي حل الآن، سوى قتلك.

هنا صرخ (مرزوق) باسم لم يتوقعه القاتل قَط، اسم حوّل الخوف في عينيه إلى صدمة مطلقة،

- (صالح).

تجمد (صالح) في مكانه، للحظة لم يتوقعها، كشف فيها كل شيء، لم يخطر بباله قَط أن تاريخه البشع سيظهر أمامه بهذا الشكل، وأن الفرصة التي كان يخطط لها ستتحول إلى مشهد مرعب، ملأ الخوف عينيه، واتسعت حدقتاه جزعًا، وقال:

- لم يعد هناك متسع من الوقت... باتت الأمور كلها واضحة، أنا من قتلت الضحايا الستة، وليس هناك ما أخسره، ما أحتاجه كله هو بعض الوقت، بعد أن أتخلص منك، فأنت الآن دليلهم الوحيد عليّ.

رد عليه (مرزوق) بصوت يملأه الرجاء، محاولًا استغلال لحظة الكشف هذه:

- فكر جيدًا يا (صالح)، هذه ليست جريمة، هذا انتحار لمسيرتكَ بأكملها، ما بنيته كله، تاريخك كله، لا تدمر ذلك كله في لحظة طيش، لا تمحُ اسمك من الوجود، لم أتخيل قَط أن أراكَ بهذا الشكل، لا تُضيع الوقت... أمامك فرصة أخيرة للتراجع، وأنا أعدك لن أخبر أحدًا عنك، سأنكر أنني قد تعرفت على هويتك.

لكن (صالح) ابتسم بسخرية قاتمة، استهزاء مَن يعرف أن الكلمات كلها فقدت مفادها، قال وهو يتقدم ببطء وسلاحه -ما زال- في يده:

- كلكم تقولون، وبعدما تنجون... تكشفون كل شيء.

كان يعلم أن كلمات (مرزوق) لا قيمة لها، وأن أمامه خيار واحد لا ثانٍ له.

تقدم (صالح) بخطوات بطيئة، كوحش جريح يزحف نحو فريسته الأخيرة، بينما كان (مرزوق) يتراجع للخلف، بقلب مرتجف وعينين زائغتين، يبحث عن مخرج لهذا الكابوس.

لحظتها سمع طرقات عنيفة على الباب الخارجي، تجمد الاثنان، كانت تلك الطرقات بمثابة شريان حياة لـ(مرزوق) ووقت الحساب لـ(صالح) الذي التفت نحو الباب، وضاقت به الدنيا بما رحبت، حينما انطلقت الصرخات من الخارج، صوت (سلمان) وهو يقول:

- نحن أفراد الشرطة، افتح الباب حالًا... نحن نعرف أنك في الداخل، ومرزوق معك.

لم يرد (صالح)، بقي متسمرًا في مكانه، يرتعش من الذعر، بينما عادت الطرقات أقوى، كأنها ضربات مطرقة على خشبات نعشه، ثم جاء التهديد النهائي:

- إذا لم تفتح الباب... سنضطر إلى كسره، أمامك ثوانٍ قليلة.

كانت تلك هي اللحظات التي تفصل بين الموت والحياة، أدرك (مرزوق) أن هذه فرصته الوحيدة، وبحركة يائسة، استغل انشغال (صالح) بالباب، وباغته بضربة مباشرة على يده التي تمسك

بالسكين.

تراجع (صالح) للخلف، كان عقله مشتتًا بين الطّرق على الباب وخصمه الذي يقف أمامه الآن، انتهز (مرزوق) هذه الفرصة الذهبية مرة أخرى، وحاول الخروج من الغرفة، لكن (صالح) بهت محاولة هروبه وأمسك بقدمه، وطرحه على الأرض.

وفي هذه الأثناء، سمع صوت ضربة قوية على الباب، ثم تلتها ضوضاء عالية، لقد اقتحموا الشقة، فهم (مرزوق) أن الخلاص قد وصل، نهض (صالح) من مكانه بسرعة، ولف ساعده حول عنق (مرزوق) ووضع السكين بمنتصف رقبته.

اندفع رجال الأمن لداخل لغرفة، يتقدمهم الضابط (سلمان) وخلفه زميله (عبدالله)، وعندما وقعت أعينهم على المشهد، تجمدوا في أماكنهم، لقد صعقوا من هول المنظر، فلم يظنوا للحظة واحدة أن يكون القاتل الذي طاردوه لأيام، هو نفسه (صالح)، وقفا مشدوهين من المنظر.

كان (صالح) يلف إحدى يديه حول رقبة (مرزوق)، مستخدمًا إياه كدرع بشري، وفي اليد الأخرى لمعت السكين، يهدد بها كل من حاول الاقتراب منه، هنا صاح (سلمان) بحزم، رافعًا يده ليوقف تقدم رجاله:

- إياك والتهور... ليس أمامك مخرج يا صالح، استسلم.

تجاهل (صالح) صوت (سلمان) تمامًا، وكأنه صدى قادم من عالم آخر، كان تركيزه كله منصبًا على الرهينة التي بين يديه، أحكم

قبضته على (مرزوق)، الذي شعر بنصل السكين البارد يستقر بثبات على شريانه، أية حركة منه قد تكون حدًا فاصلًا بينه وبين نهايته، وبصوت مرتعش لم يفقد رجاءه الأخير، قال:

- صالح... الفرصة لا تزال أمامك إلى الآن، دعني وشأني، ألم يكفيك ما فعلته بي سابقًا، أتريد أن تدمرني حتى وأنت في أضعف حالاتك.

كانت اللحظات مربكة للجميع، الترقب يكاد أن يبتلع المكان، ورجال الشرطة بأسلحتهم الموجهة ينتظرون الإشارة، كان (سلمان) يحاول كسب الوقت، يبحث عن أية ثغرة، حلول سريعة كي لا يفقد (مرزوق)، كان يحاول فك شفرة هذه الفوضى، لكن الموقف لم يعد في يده.

في تلك اللحظة، التي كان فيها الموت والجنون يتراقصان على نصل السكين، انتبه الضابط (عبدالله) لشيء لم يلاحظه الآخرون، رأى وجه (مرزوق) الذي مال بهدوء نحو (صالح)، وتمتم بكلمات لم يسمعها أحد، كلمات موجهة للقاتل وحده، كانت تلك لحظة التحدي، شرارة مقاومة في عيني رجل كان على وشك الموت، فجأة وبحركة خاطفة وسريعة انبثقت من رحم اليأس، استغل (مرزوق) تلك الثانية من التردد التي خلقها، وضرب صالح بكوعه ضربة قوية وموجعة على بطنه.

تراجع (صالح) للخلف متألمًا، فانتهز (مرزوق) الفرصة التي لم يكن يحلم بها، وقفز إلى الأمام متخلصًا من قبضة خاطفه، وسقط على الأرض بعد أن تعثرت قدماه بطاولة صغيرة كانت أمامه، هنا وجد (صالح) نفسه وحيدًا، محاصرًا وسط أفراد الأمن، والأسلحة كلها

مصوبة عليه من كل ناحية، ثم انهار على ركبتيه مستسلمًا، وبعدها وبطريقة غريبة غاب عن الوعي كليًا.

تقدم الضابط (عبدالله) بسرعة نحو (مرزوق) الذي كان -لا يزال- على الأرض وسأله بقلق:

- هل تعاني من أية إصابات؟

لم يجبه (مرزوق) كان وقتها في حالة صدمة من نجاته، غير مصدق أنه قد تخلص من قبضة الموت، وهو الآن بأمان بين رجال الشرطة، بينما صوت الأصفاد تسمع من بعيد وهي تقيد معصمي (صالح)، والذهول -ما زال- مسيطرًا على تفكير (سلمان)، كيف للقاتل الذي قتل ستة مؤلفين بدم بارد، وشَغَل الرأي العام، وأرهق قيادات الشرطة طوال الفترة الماضية أن يكون (صالح عبدالرحمن النعمان) أشهر كاتب في وقت سابق.

21

- هل تعاني من شيء معين؟

كان هذا ما سأله الضابط (سلمان) للمتهم (صالح عبدالرحمن النعمان) في قسم الشرطة، وهو مكبل يجلس شارد الذهن يدور بعينيه في المكان، بينما ضغط (عبدالله) على زر جهاز التسجيل الذي كان بجانبه ليحفظ كل كلمة سينطق بها هذا المجرم اللعين الذي حيرهم طويلًا.

توقف (صالح) عن الحركة، ونظر إلى يديه المكبلتين بأصفاد لامعة تحت ضوء الغرفة، كأنه يرى جسمًا غريبًا ملتصق به، فاتسعت عيناه برعب طفولي، رفع رأسه وهو يهزه ببطء، كمَن يحاول نفض كابوس من ذاكرته، نظر إلى المحققين بنظرة ضائعة لشخص للتو قد استيقظ في مكان لا يعرفه، وقال بصوت مرتعش بالكاد خرج من حنجرته:

- لماذا... لماذا أنا في هذا المكان؟ لمَ يداي مكبلتين هكذا؟

كانت تساؤلاته غريبة، لا تُطرح من فم شخص قُبض عليه متلبسًا بجريمة اختطاف والشروع في القتل، والمشتبه الرئيسي في قضية (سفاح الكتب)، لم يفهم كل من (عبدالله) و(سلمان) المغزى من كلامه بعد ما حدث كله.

رد عليه (عبدالله) ببرود، وبطريقته الساخرة المعتادة:

- أنتَ تجلس هنا؛ لأنك تنتظر الحلاق كي يقوم بحلاقة ذقنك غير المهذبة.

لم يبتسم (صالح)، ثم عاد (عبدالله) بعدها لطريقته الصارمة وقال بصوت حاد:

- أنـت هنـا بسبـب خطفـك لزميلك (مرزوق محمد) ومحاولة قتله، كما أنك متهم بقتل ستة أشخاص لأسباب غير معروفة.

هنا حدث شيء غير متوقع، انتفض (صالح) من مكانه، ونظر بتعجب حقيقي للمحققين، وقال بصوت يملأه الإنكار:

- يبدو أنكما قد أخطأتما، عن أية جرائم تتكلمون، دعوني أرحل... أنا لم أقتل أي شخص.

تبادل (عبدالله) وزميله نظرة سريعة حائرة، في محاولة منهم لاستيعاب ما قاله (صالح) للتو، هل هذا تمثيل متقن أم جنون مطبق؟ قرر (سلمان) أن يحطم جدار هذا الإنكار، فضرب بيده سطح المكتب الذي أصدر صوتًا مدويًا وقال بحزم:

- لا تتلاعب بنا يا صالح... أتريد إيهامنا أنك تعاني من عِلة نفسية لتنفد بجلدك؟ الدلائل كلها تؤكد أنك أنت من قمت بتلك الجرائم، وكدت أن تقترف السابعة لولا عناية الله ووصولنا في الوقت المناسب، لكان مرزوق في عِداد الموتى، لقد قبضنا عليكَ متلبسًا... ما نريده كله منك الآن أن تجيب على أسئلتنا، وتكشف عن دوافعك لتلك الجرائم كلها التي اقترفتها، تمثيلك هذا لن ينقذك من حبل المشنقة.

نكّس (صالح) رأسه وهو يتأمل الأرض، بدا وكأنه يفكر مليًا بما قاله (سلمان)، ثم وبعد دقيقة من الصمت، رفع رأسه مجددًا لكن هذه

المرة عينيه مختلفتين تمامًا عن تلك الضائعتين قبل دقائق، كانت نظراته حادة، باردة وقاسية، ثم قال بصوت هادئ ومخيف:

- الذين قتلتهم كلهم كانوا يستحقون الموت، فهم مجرد دخلاء على الأدب، لقد استحلوا العديد من الأماكن التي لا يستحقونها، لو عاد بي الزمن مرة أخرى لقمت بقتلهم دون أي تردد.

ضدم المحققان من أفعاله وأقواله، لقد تغير كل شيء في لحظة، الشخصية البريئة اختفت، وظهر الوحش الحقيقي، رد عليه (عبدالله) بحدة وقال:

- لو افترضنا أنهم كما تقول، فلماذا أردت قتل مرزوق محمد؟ هو كاتب مميز، ولديه شهرة منقطعة النظير، وعلى ما أعتقد أنه كانت لديك دوافع أخرى.

ابتسم (صالح) ابتسامة جليدية، كشفت عن الحقد الدفين كله في روحه، وأجابه مفسرًا كل شيء:

- مرزوق كان مختلفًا تمامًا، هو لم يسرق مكاني في عالم الأدب، هو تخطى مكانتي وسحب البساط من تحت قدمي، جائزة الرواية الذهبية من حقي أنا، لكنه استولى عليها، فاز بها أكثر من خمس مرات متتالية، لقد فهم اللعبة جيدًا واستطاع شق طريقه بكل ثقة، رغم محاولاتي السابقة بهز ثقته ومحاربته بالطرق المشروعة وغير المشروعة، لا أدري كيف قفز فوق تلك الحواجز التي نصبتها له، من وجهة نظري فهو أيضًا يستحق القتل، لقد سرق مستقبلي... ومن حقي أن أسرق حياته.

قاطعه (سلمان) لحظتها وطرح عليه سؤالًا وقال:

- هناك سؤال مهم أريد منك إجابته بكل صراحة ووضوح، كيف لك أن تجهز على الضحايا كلهم بهذه السهولة؟ وكيف استطعت السيطرة عليهم؟ رغم أنك كنت مرتبكًا لحظة القبض عليك! إضافة إلى ذلك... أنت لست متمرسًا في القتال كما رأينا؟ والدلائل كلها تشير إلى إنك قليل الحيلة!

نظر إليهما بعيني ذئب عجوز منكسر، وقال بصوت هادئ يكشف عن دهاء لم يتوقعاه:

- العقل دائمًا يكون أحدّ من السكين وأشد من قبضة فتاكة، كلهم كانوا يبحثون عن الشهرة السريعة، وكنت أستدرجهم من خلال اتصالي بهم من هواتف بعض العمال الآسيويين وأطلب منهم الحضور لمكتبي الذي يقع في منطقة الفروانية، شقة سرية استأجرتها ولا يعلم بوجودها أي أحد، هذه ذاتها التي داهمتموها وقبضتم عليّ بداخلها.

توقف (صالح) عن الحديث للحظات، وبات ينظر بحدة نحو الضابطين، وكأنه يستعرض أمامهما لوحة فنية مشوهة، قطع (سلمان) الصمت بنبرة حادة:

- أكمل... كيف كنت تسيطر على ضحاياك؟

أمال (صالح) رأسه للخلف، وأطلق زفرة باردة كمن يسرد حكاية عابرة لا تعني له شيئًا، عيناه جامدتان، وصوته خالٍ من أي ارتجاف، وكأنه يقرأ فصل من إحدى روايته:

- (السيانيد)... السم الذي لا لون له ولا رائحة، كظل يتسلل بلا أثر، كنت أذوّبه في فناجين القهوة التي أعدها لهم بيدي، وهم يبتسمون ببراءة، لا يشكون في شيء، لحظات قليلة فقط، ثم يبدأ مفعوله ويزحف داخلهم ببطء، يسرق أنفاسهم واحدة تلو الأخرى، يرتجفون، يسعلون، تتلوى أجسامهم على الأرض وكأنهم يغرقون في بحر غير مرئي، أستمع لصراخهم المكتوم، لمحاولاتهم اليائسة في طلب النجدة... ثم فجأة، يسود الصمت، وما يبقى أمامي كله، أجساد هامدة، وعيون متجمدة على آخر مشهد رأوه.

تابع (صالح) وكأنه يسترجع ذكريات عزيزة وعلى شفتيه ابتسامة مستفزة:

- وبكل سهولة أجرهم إلى غرفة في الشقة خصصتها لبقية ما أقوم به، هناك كنت أقطع أطرافهم وأبتر ألسنتهم، ثم أحشرهم في تلك الحقائب التي خصصتها لذلك، لكن لماذا؟ لكي يعرف العالم أنهم لا يستحقون الحياة، ثم كنت أدون تلك الجملة فوق الحقيبة (غير صالح للنشر)، لقد زاحموني كثيرًا في المعارض، واستطاعوا أن يكسبوا بعضًا من جماهيري بتلك الإصدارات السيئة، التي باتت تشوه سمعتي قبل سمعتهم، فنحن بنظر جماهيرنا كتلة واحدة تكمل بعضها البعض، والسيئ بنظرهم يعكسونه علينا، المجال الأدبي ضيق ولا يحتاج لمزاحمة هؤلاء المدعين.

جحظت عينا (عبدالله) من الصدمة وبانت على ملامحه علامات الانبهار وقال مستنكرًا:

- وهل هذه الأسباب تجعلك تقتل هؤلاء بتلك الطريقة البشعة؟

ألم تفكر للحظة بأن لديهم عوائل وأحباب؟ كان بالإمكان حل تلك القضية بنشر فكرك عن طريق كتبك.

هنا نظر(صالح) إلى (عبدالله) نظرة أخيرة تحمل احتقار العالم كله، ورد عليه قائلًا:

- كتبي! لقد حاولت، لكن لا أحد يقرأ لمن لا يملك الجائزة الذهبية.

تدخل (سلمان) هنا، وابتسم بخبث، وبصوت بدا وكأنه معجب، لكن كلمة قالها كانت بمثابة الطعنة:

- صالح... أنت فنان أليس كذلك؟ والفنان الحقيقي لا يعمل بعشوائية، لا بد أن يحكمك منطق ما... أو فلسفة خلف اختيارك لضحاياك، أم أنني أبالغ في تقديرك، وفي النهاية لم تكن سوى رجل غاضب يقتل من يزعجه؟

فهم (صالح) ما يصبو إليه (سلمان) وضحك استهزاء ضحكة قصيرة، ورد عليه قائلًا:

- المواصفات واضحة... ما في الأمر كله أنهم مدعين كتابة، لا يفقهون في الأدب أي شيء.

لم تكن إجابة (صالح) مرضية لـ (سلمان) الذي قال بحدة:

- كنت صريحًا في كل الإجابات إلا هذه فلم أقتنع بها، تقتل لمجرد أنهم يقتحمون مجالك، هناك سر تخفيه بكل تأكيد.

رد صالح ببروده المعتاد، لكن هذه المرة كانت نبرته تحمل غليانًا داخليًا، بركانًا من الغضب على وشك الانفجار:

- ألا ترى أن ذلك سببًا قويًّا لاجتثاثهم من الحياة؟ لقد مررت بسنوات كنت ملكًا على عرش الكتابة، لا ينافسني أحد، أميرًا بكل معرض تصرخ الجماهير باسمي، ويتزاحمون من أجل التوقيع على كتبي، ومع مرور الوقت بدأ نجمي يأفل بسبب هؤلاء الذين اقتحموا ذلك المجال، لم يتدرجوا أو يتعبوا كما تعبت أنا، لقد بدأتُ من الصفر وكافحت إلى أن وصلت إلى هذه المرحلة، لن يشعر بألم المثابرة سوى من عانق الأرض بعد عثرة، وتذوق طعم الهزيمة في فمه، ثم أبى إلّا أن ينهض مجدداً ليواصل المسير بعزيمةٍ أصلب، أما هؤلاء كانوا يريدون اختصار الطريق وارتقاء سلم النجاح من دون أية قطرة عرق، بعد هذا كله ألا ترى أنهم يستحقون الموت؟

في خضم اعترافات صالح، لمع سؤال في عقل (عبدالله)؛ استفسار عن الثغرة الوحيدة في خُطة القتل المحكمة وقال:

- لماذا لم تجهز على (مرزوق) كما فعلتَ بالضحايا السابقين؟ كيف أفلت من قبضتك أو ذلك السم الذي كنت تنصبه لهم؟

أجابه بأسي، وكأنه يتحدث عن خطأ سخيف في رواية كتبها، وقال:

- هو الوحيد الذي لم يشرب تلك القهوة التي باتت باردة على الطاولة، لقد كشف مخططاتي كلها، أولها... مكاني السري الذي أجهز فيه على ضحاياي، وفهمت منه أنه لا يحب القهوة فهو من محبي الشاي، لم أدرس شخصيته جيدًا، لقد عالجته بضربة قوية على رأسه، سقط بعدها مغمي عليه، جررته للغرفة التي أقطّع بها فرائسي، لأتردد بعد ذلك كونه لا يزال يتنفس، ولم أتوقع للحظة أنه

كان يُخفي هاتفًا آخر في جيب سترته، والذي من خلاله استطاع التواصل معكم، المحظوظ كان لديه هاتفين، وهذا الخطأ الشنيع الذي قضى على أسطورتي.

كانت إجابات (صالح) صريحة وواضحة، لكن (سلمان) لم يقتنع بأن القصة قد انتهت، سأله مجددًا، سؤالًا يحمل قلقًا حقيقيًا:

- هل هناك قائمة بضحايا جدد كنت تفكر في قتلهم؟

ابتسم (صالح) ابتسامة جعلت الدماء تتجمد في عروق المحققين وقال:

- القائمة طويلة... ولو كان هناك متسع من الوقت، لقتلت مؤلفين خارج الكويت؛ المدعون كثيرون ولا يقتصرون على هذا المكان.

عمّ الهدوء بعد تلك الإجابة المريبة، طأطأ (صالح) رأسه مرة أخرى نحو الأرض ببطء، وضع يده على جبينه كأن ثقلًا هائلًا يطبق عليه، يتألم من صداع مزعج يدق برأسه، ثم انبعث من صدره صوت أشبه بالعويل، سرعان ما تحول إلى صرخة حادة اخترقت جدران الغرفة، فارتجف الضابطان في أماكنهم بدهشة مشوبة بالريبة.

رفع (صالح) يده المرتجفة من أعلى ناصيته، وعيناه تحدقان في فراغ غريب، كأنهما تريان شيئًا لا يُرى، لم تكن هذه المرة كعادتها باردة؛ بل كانتا كعيني طفل ضائع يبحث عن الأمان، عينان شاردتان بريئتان تنظران حولهما كأنهما تكتشفان العالم لأول مرة، ثم نهض فجأة، وبصوت متلعثم قال:

- لماذا أنا هنا؟ لماذا يداي مكبلتين؟

تقدم (عبدالله) نحوه، وصوته يعلو بصرامة وهو يحدق في وجهه وقال:

- أنت هنا كي ندلك على طريق حبل المشنقة.

وهكذا... في غرفة التحقيق الباردة، وتحت أضواء النيون القاسية، كُشف الستار عن كل شيء، لم تكن الجرائم سوى نتيجة للجنون والتخطيط الشيطاني الممزوج بحقد دفين، وذكاء حاد استخدم في أحلك أغراضه، لقد سقط القناع أخيرًا عن (صالح عبدالرحمن النعمان)؛ الكاتب الذي تحول إلى قاتل، ليس بالسيف بل بالعقل والسم، وها هو الآن منكّسًا رأسه كمَلكٍ مهزوم ينتظر بصبر فرصة أخرى قد لا تأتي أبدًا، انتهى كل شيء لكن شبح جرائمه وقائمة ضحاياه التي لم تكتمل، سيطاردون أروقة مركز الشرطة لسنوات طويلة.

22

كان (مرزوق) يجلس على الأريكة في منزله، رأسه ملفوفٌ بضماد أبيض ناصع، إثر الضربة التي تلقاها من (صالح)، عيناه شاردتان تحدقان في الفراغ، وطيف لمعان السكين على رقبته كان لا يزال يرقص أمامه، صورة محفورة بحمض الخوف النووي في ذاكرته.

- كنت أرى الموت أمامي عيني منعكسًا على لمعان السكين التي بيد صالح، لم أتصور ولا للحظة واحدة أنني سأكون هنا في منزلي وسطكم، هناك أشياء شبه خامدة داخلنا لا نفهمها إلا إذا وقعنا أمام مصدر خطر، ثم يخرج ذلك الشيء ملوحًا بالمساعدة، فتنبثق منه المهارات النائمة كلها.

هذا ما قاله مرزوق بعد صدمة ما حدث له أثناء احتجازه من قبل (صالح).

اقتربت منه زوجته (حنان) ووضعت يدها بلطف على كتفه، كان وجهها شاحبًا، لكن عينيها تحملان قوة وصلابة، قالت بهدوء:

- كنت على يقين أن هذا القاتل كان يستهدفك، وبالتحديد من تلك الليلة التي دخل فيها إلى منزلنا، على ما أعتقد كان يظن أنك ستكون وحيدًا، فقرر التخلص مني ومن بعدها الإجهاز عليك.

ثم اعتدلت في جلستها، وكأنها تستجمع شجاعتها، على شفتيها سؤال مضطرب يحاول أن يشق طريقه بين أنفاسها تريد له الإجابة، نظرت إليه بحيرة وقالت:

- لا أفهم... لماذا لم يجهز عليك هذه المرة، لقد حاول قتلك من قبل،

ولولا ظروف وجودي في المنزل لأنهى حياتك فورًا، فما الذي منعه الآن؟ أهو تراجع في اللحظة الأخيرة، أم أن هناك سر لم نكتشفه بعد؟

لاحت على وجه (مرزوق) ابتسامة ثعلبية ثم قال:

- هذا كله بفضلكِ يا عزيزتي، لولا تلك التجارب التي كنتِ تقومين بها، وطبقتيها عليّ وعلى مراجعينكِ لما كنتُ الآن بين يديك، كنت دائمًا أقولك لك أنتِ مصدر إلهامي.

عقدت حنان حاجبيها بغرابة، وقالت بصوت لا يخلو من الحيرة:

- وما دخلي أنا بالذي جرى كله؟ لم أكن موجودة معكم لحظة إنقاذك، يبدو أن تأثير الحادث لا يزال في قلبك.

اعتدل مرزوق في جلسته، ونظر إليها نظرة عميقة، نظرة رجل رأى ما لا يمكن للكلمات أن تصفه، ثم قال بصوت هادئ لكنه يحمل عذاب سنوات من الصراع لأجل البقاء:

- هل تؤمنين بالانتقام، هل جربتي ليلة واحدة وأنت تنامين على وسادة الخيبة، هل شعرت أنك تملكين مقومات النجاح كلها، وترينه يذهب لمن هم لا يستحقونه؟

صمت للحظة، ثم تابع وكأنه يفتح صندوقًا من الأسرار المظلمة:

- لقد عاملتهم بصفاء نيتي وأخلاقي، لكنهم عاملوني بالخبث والمكر، جعلوني سلمًا يصعدون من خلاله على ظهري، كنت بريئًا كطفل صدق رجلًا يعطيه الحلوى ليستدرجه بتلك الطريقة، أنا أيضًا... كنت كأرنب صغير لا يفكر سوى في سد جوعه بحشائش

صغيرة، وكانوا هم الذئاب الذين يتربصون بي ويريدون الانقضاض عليّ كفريسة لهم، لم يرحموني لحظة، وبكل فرصة سنحت لهم كانوا يغرسون أنيابهم في لحمي.

أخذ نفسًا عميقًا، وأردف كلامه بنبرة أكثر حقدًا، وقال:

- فهمت اللعبة جيدًا، وكنت أعرف أن الأوان لم يفت وعليّ قلب الأدوار عليهم، تحول ذلك الأرنب الصغير إلى نمر صياد يريد هو الآخر نشب أنيابه في أجسامهم، كلهم مجرد أفاعي عمياء تدس سمها في أي جسم يقابلونه أمامهم، وكنت ذلك الجسد الضعيف الذي لا يعرف كيف يدافع عن نفسه، تأخرت كثيرًا في هذا القرار، وشعرت أنني قد فقدت فرصتي، وفي تلك الليلة التي سيطر عليّ اليأس فيها وقررت التوقف عن الكتابة والبحث عمّا يساوي الطموح كله الذي بداخلي، لاح ذلك الشعاع الذي انبثق منكِ، وأعادني مرة أخرى للحياة.

هنا نظر إلى (حنان) مباشرة، ولاحت من عينيه شرارة المكر حين قال:

- تذكرت والدي في تلك الليلة الذي قال لي: (لا تجعل نفسك مداسًا للآخرين، وكرامتك فوق كل اعتبار، البشر مجرد ذئاب جائعة تبحث عن فرائسها بلا ضمير)... ومنها عقدت العزم على دفن كل من يحاول الوقوف أمام أحلامي، بعدما أيقنت أن كل إنسان له جانبان أحدهما منير يتوهج مع من مثله، والآخر مظلم كالفخ، حفرة مغطاة ينصبها لمن يحاولون تجريده من إنسانيته.

فتحت (حنان) عينيها بعد أن انتهى (مرزوق) من حديثه، وعلامات

عدم الفهم كانت تلوح من وجهها، ثم قالت بصوت يرتجف:

- مرزوق... لماذا تتكلم بتلك الطريقة؟ أين عينيك التي أحببتهما دومًا؟ كنت أرى فيهما براءة العالم كله، أما الآن أرى أمامي عيون غريبة، قاسية، كأنها تفيض باللؤم، كلماتك قبل قليل أربكتني، أريد أن أفهمها... لكن بداخلي شعور ثقيل لا يتركني أرتاح.

وضعت يدها على صدرها لتكبح خفقات قلبها المتسارعة، ثم أضافت بصوت متهدج:

- قلبي أصبح يخفق بشدة، يكاد أن ينفجر من الخوف.

ابتسم مرزوق ابتسامة لئيمة، لا تحمل أي دفء؛ بل تفوح منها رائحة الانتصار، وقال بنبرة غامضة جعلت المكان يزداد ثقلًا:

- لدي طلب صريح وواضح قبل أن أخبرك بالحقيقة، هل تعديني بأنك ستحفظين السر؟

صمتت (حنان) قليلًا، ثم قالت بصوت مرتعش وكأنها تقف على حافة الهاوية:

- ليس أمامي الآن سوى أن أعدك بالموافقة على طلبك، ولا يزال قلبي ينبض بشدة فلا تطل عليّ بتلك المقدمات المبهمة.

ظهر بعض التردد على سحنته، ثم قال بصوت هادئ كصوت حفيف الأوراق بليلة خريفية:

- ما جرى كله... كان من المفروض أن أكتبه في روايتي القادمة، لقد استحضرت دهاء المؤلف في تطبيقه على أرض الواقع، رواية

لم يعرف عنها أحد، محبوسة داخل جهاز حاسوبي، كتبتها بواقعية شديدة، الشرارة الأولى لأبحاثك التي كنتِ تقومين بها على مرضاكِ، حبكتها بخريطة ذهنية بعقلي، وشخوصها كانوا صالح وضحاياه، وواقعها عالمنا الأدبي، ونهايتها لم تكتمل بعد، لم تكتب بمسودات أو تطبع على ورق، ولم تكن هناك دار نشر تقوم بتوزيعها، كان محرك تلك الأحداث كلها (صالح عبدالرحمن النعمان)، ولكن قبل ذلك دعيني أذكركِ بتلك الأيام التي عشتها مخذولًا ومنكسرًا وبالتحديد بداياتي في هذا المجال.

أخذ (مرزوق) نفسًا عميقًا، وعيناه لم تفارقا سقف الغرفة، كمَن يرى شريط ذكرياته يُعرض هناك:

- تأكدي أنني لم أكن أريد أن أصبح ذلك الشخص الذي ستكشفين حقيقته، هم من صنعوا مني هذا الوحش الذي دبر تلك المكائد كلها، كنت حمَلًا وديعًا أطمح أن يعاملني الجميع بمثل ما أعاملهم به، كنت معهم ودودًا محبًا ومتصالحًا مع نفسي، مشكلتي أنني أتيت لهم بكُلي، حاملًا أحلامي وطموحاتي معي، أوزعها عليهم برحابة صدر ومن دون أي مقابل.

قاطعته (حنان) بحزم وقالت:

- يكفي يا مرزوق لا تعاملني كما تعامل الكتب، أنا لست صفحة بيضاء تريد الكتابة عليها، أريدك أن تدخل في صلب الموضوع وتبوح بما في داخلك كله.

ساد الصمت بينهما لبرهة، صمتٌ أثقل من الكلمات كلها التي قيلت، لم تعد (حنان) ترى زوجها أمامها؛ بل رأت مؤلفًا عبقريًا مجنونًا، رجل

حوّل ألمه إلى فن، وفنه إلى جريمة، وجريمته إلى أعظم رواياته، لقد كانت هي نفسها، دون أن تدري... آخر شخصية في قصته التي لن يقرأها أحد.

23

استند (مرزوق) بظهره إلى الأريكة، وعيناه ترتكزان على نقطة بعيدة، كأنها ليست موجودة في الغرفة؛ بل في مكان آخر يستحضر منه أشباح الماضي، قال بصوت كان مشحونًا أثقلته مرارة السنين:

- أحيانًا يُولد المرء من جديد لحظة خذلانه، لم يكن ما حدث صدفة؛ بل خيانة مدبرة من قبل أشخاص كنت أظنهم العون والسند، ويا للخيبة! ما فعلوه كله أنهم ارتدوا أقنعة وديعة فوق وجوههم القبيحة، وأخفوا خلفها أنياب ذئاب تتربص، كنت أراهم أمامي وكأنهم يمدون أياديهم للمساعدة، لكن الحقيقة أنهم كانوا يدفعونني إلى الهاوية، مثل رجل يهوي في بئر مظلم، يصرخ ويطلب النجدة، فيمدون له شلمًا هشًا لا يحتمل وزنه، ثم يسحبونه منه في اللحظة الأخيرة ليغرق أكثر.

توقف قليلًا، ابتسم بمرارة، ثم تابع كمن يفتح فصلًا قديمًا من رواية مأساوية:

- في أول سنة... نشرت كتابي مع دار نشر صغيرة، أقنعتني بأن كتابي سيوزع بشكل جيد، فدفعت ما أملكه كله ليتحقق لي ذلك، لكن حلمي قصيرًا جدًا... انهار سريعًا، كنت أظن أنني أحرزت فرصة العمر، لاكتشف أنها كانت الخديعة الكبرى التي نسفت أحلامي كلها، فشلت فشلًا ذريعًا كنت ساذجًا بما يكفي لأصدقهم... كانوا يحفرون لي الهاوية ويتظاهرون بالسماحة، لا أنسى ذلك المعرض الذي التقيتُ فيه وللمرة الأولى مع الكاتب (صالح عبدالرحمن)، نجم المعارض الذي كان في أوج نجاحه وقتها، بدا أمامي كمن يتمنى لي

الخير، يتحدث بحماسة عن مستقبلي، بدأ يوهمني بأن هذا المجال مليءٌ بالفرص، وبداخله كان ينصب الفخاخ لي؛ حيث إن في تلك الليلة وبعد نهاية المعرض طلب مني صاحب دار نشر أن أوقع معه عملًا جديدًا، بعد أن رأى بي ملامح الكاتب، وكانت الدار هي (دار السنابل) التي تعتبر أكبر دار نشر، كان (صالح) ينشر معهم كتبه، لم أصدق لحظتها واعتبرت ذلك فرصة كبيرة كي أحقق أحلامي كلها التي تحطمت بسبب عدم الإقبال على كتابي الأول.

وبالفعل وقّعت عملي الثاني معهم، أذكر جيدًا عندما جاءني (صالح) وهو يقول لي إنه هو من طلب منهم التوقيع معي، كنت أظن أنه صاحب فضل كبير عليّ، وبسبب هذا الفضل الزائف لم أدرك أنني رهنت نفسي له، وأنه قد أحكم قبضته عليّ بخيوط لا تُرى، تلاعب بي بشتى الطرق، وما فعلته كله كان بدافع الامتنان الأعمى الذي لم يكن سوى وهم، ولم أكن أعرف أنه يريدني أن أبقى حبيس فضله طوال السنين القادمة.

مر عامي الأول مع (دار السنابل)، ومبيعاتي بالكاد لامست الألف نسخة، كان ذلك غريبًا، فقد كانت أصداء إشادة القراء بكتاباتي تتردد في كل مكان، وفي الوقت نفسه كانت همسات نقدهم لكتب صالح التي فقدت بريقها تتعالى يومًا بعد يوم؛ وذلك لأنها باتت غير صالحة للنشر.

توقف قليلًا، وابتسم بسخرية وهو يهز رأسه، ثم تابع بتهكم لاذع، وكأنه يضحك على سذاجته الغابرة، وقال:

- يا لي من غبي! كنت أدافع عنه بكل ضراوة، وفي كل مقابلة معي،

كنت أدين له بالفضل، وامتدحه لأنه مد يد العون لي، ولم أكن أعلم أن هذا المحتال كان يغرس خنجره في ظهري.

نظر إلى حنان مباشرة، وقال بصوت يحمل دفء الذكرى وألمها:

- أتذكرين يا حنان... عندما كنت آتي إليك بعد كل معرض، تلتهمين الكآبة معي بصبر ورحمة، كنتُ أشكو لكِ سوء حظي وعدم توفيقي، بسبب عدم التطور، وكل سنة تبقى مبيعاتي على حالها، كنت أتقدم خطوة ثم أعود عشر خطوات إلى الوراء، أجلد ذاتي وأعتبر نفسي المتسبب الوحيد لما جرى لي، كنت ألعن تلك الظروف التي جعلتني فيما أنا عليه وقتها، حتى وصلت لمرحلة شككت فيها في قدراتي كلها، واعتبرت نفسي كاتبًا فاشلًا.

سكت لبرهة، ثم قال جملته الأخيرة التي كانت بمثابة الطعنة في قلب الحقيقة:

- وكل من كان يأتي ويثني عليّ، لم يكن في نظري سوى مجامل بارع يلقي عليّ تلك الكلمات، والحقيقة المرة... هي أنني كنت مجرد كاتب فاشل لا يملك من المهارة أي شيء... أو هكذا أرادوا لي أن أصدق.

عم الصمت المكان، صمت لم يقطعه سوى أنفاس (مرزوق) الثقيلة، كانت (حنان) تنظر لعينيه اللتين امتلأتا بدموع لم تسقط، ثم قالت:

- أذكر تلك الأيام جيدًا، لا أنكر أنني وصلت لمرحلة كدت أطلب منك فيها التوقف عن الكتابة، والبحث عن شيء آخر، لكنني في الوقت نفسه، كنت أعلم أن بداخلك محارب فذ لا يشق له غبار،

وكنت دائمًا أقول لك إن الشخص الذي لا يعرف الاستسلام... لا بد أن ينتصر في النهاية، أخبرني ماذا حصل بعد ذلك؟

لم يجبها مباشرة؛ بل مد يده إلى درج قريب، وأخرج منه دفترًا أسود صغيرًا، أوراقه صفراء باهتة، وقال بصوت قد تغيرت نبرته، وكأنه يمسك بكنز ثمين:

- هذه هي المسودة التي كتبت فيها فصول الرواية التي لم تكن صالحة للنشر، كتبتها بعد السنة الخامسة لي في الكتابة، وسط تلك الإحباطات التي كنتُ أعيشها، في منتصف الفترة المسائية لأحد أيام معرض الكويت الدولي للكتاب، ذلك اليوم كان جميلًا بالمقاييس كلها بالنسبة لي، وعلى ما أعتقد أنه كان اليوم الخامس للمعرض بعد أن نفدت جميع إصداراتي، كنت مع أحد العاملين في دار النشر، وأبلغته بضرورة طباعة نسخ جديدة في أسرع وقت ممكن حتى يتنسى لي بيع ما تبقى من كتبي قبل نهاية المعرض خاصة أن الإصدار عليه طلب من الجمهور، في البداية كان صاحب الدار فرحًا ووعدني بأنه سيقوم بإبلاغ المطبعة كي يسرعوا في الطباعة.

توقف مرزوق للحظة، وابتسم ابتسامة صافية أشرقت على وجهه وهو يسترجع ذكرى ذلك الوعد، ثم تابع، وبدأت ابتسامته تتلاشى تدريجيًا، لتحل محلها سحابة من الوجوم:

- في نهاية اليوم جاءني صاحب الدار بوجه ممتلئ بالوجوم وقال لي تلك الجملة التي لا أنساها، جملته كانت بمثابة المسمار الأخير في نعش أحلامي.

نظر إلى (حنان) وقال بصوت أجش، كأنه يستعيد الصدمة نفسها:

- تخيلي معي ماذا قال لي حينها؟ كان يقول: (من الصعب يا مرزوق طباعة كتابك، كون المطبعة تحتاج للوقت، وأنتَ تعلم أن أيام المعرض لا تتجاوز أحد عشر يومًا، عليك تقبّل هذا الأمر).

أخذ نفسًا عميقًا وتابع:

- بعد سماعي لتلك الجملة، شعرت بخيبة كبيرة، إحباط كان بمثابة الألم الذي شق صدري، نعم تقبلت هذا الأمر وليس لي أية حيلة، لكن... تذكرت بعد ذلك، قبل يوم من هذه الحادثة عندما مر الكاتب (صالح) بظروفي نفسها وكتبه نفدت، قاموا بطباعة طبعة جديدة له، سألت نفسي نفسي سؤالًا: (هكذا يتعاملون مع المؤلفين المتميزين ويتركوننا نحن الكتّاب الصاعدين نندب حظنا؟ كيف لهم أن يتعاملوا معي بتلك الطريقة!).

كنت جالسًا، وكان العامل بدار النشر يجلس بجانبي ويُدعى (ناصر)؛ هذا الرجل كان متعاطفًا معي بشكل كبير، ويؤمن بما أكتب، قالي حينها بتردد واضح: (أستاذ مرزوق... ليس أمامك سوى البحث عن دار نشر أخرى، هذه الدار لا تقدر موهبتك).

وهنا، نظر (مرزوق) إلى (حنان)، وعيناه تلمعان ببريق من الغضب المكتوم، وقال:

- التفتُ له وقلت: (لماذا تطلب مني هذا الشيء؟ هل تعتقد أنني لست كاتبًا جيدًا، وكنت تجاملني بكلمات الإطراء عندما قرأت كُتبي؟)، نهض (ناصر) من مكانه، ووضع يده على كتفي محاولًا تأكيد كلماته قائلا: (لا تفكر للحظة أنني من هؤلاء المجاملين، أعرف

جيدًا ما تكتب وقد قرأت لك العديد من الإصدارات السابقة، أنت تتفوق على جميع كُتّاب الدار وعلى رأسهم صالح، الذي بات كاتبا رتيبًا ويكرر نفسه في الكثير من المرات، وأصحاب الدار لا يرفضون له أي طلب)، تجمد عقلي بعد سماع تلك الجملة، كانت كلماته تدور في رأسي، تحاول أن تتشكل في رأسي بصورة مفهومة، وقلت له: (ماذا تقصد بكلامك هذا؟ هناك مغزى من وراء تلك الجملة التي تحمل العديد من الافتراضات، أتمنى أن توضح لي مقصدك).

بعد جملتي تلك شعرت بالارتباك قد لاح على وجهه، وقال بتردد: (ما أريده كله يا أستاذ هو مصلحتك، أعتقد لو أنك قمت بنشر كتبك بدار غير هذه، ستأخذ حقك بشكل أكبر)، لم أقتنع بكلامه... فالحقيقة لا تزال ناقصة، كلوحة فنان ينقصها الجزء الأهم، قلت له: (كلامك مغلف بالغموض، أريد إجابة واضحة، هل هناك ما يدار خلف كواليسي؟).

صمت قليلًا، كأنه يريد ترتيب أفكاره والتردد -لا يزال- على وجهه ثم قال بصوت لم أسمعه منه قبل: (لا أدري من أين أبدأ معك الكلام، ما أريده كله قبل أن أبوح لك بالسر أن تعدني بعدم كشف الحقيقة الغائبة عنك طوال الفترة الماضية، لأني شهدت على مواقف تعكس نوايا مَن هم حولك).

سقطت كلماته عليّ كالصخرة، ولم أجد أمامي وقتها سوى أن أعده بحفظي لسره، قائلًا له: (أعدك يا (ناصر) بأنني لن أبوح لأي شخص كان بما ستقوله، أريد الآن معرفة الحقيقة كاملةً). تلفت (ناصر) حوله للتأكد من خلو المكان من أية آذان متلصصة، ثم اقترب مني

وهو يقول بصوت هامس: (صالح هو مَن طلب منهم عدم طباعة كتابك... نعم أنا على يقين بأنك شخص تتعامل مع من حولك بحسن نيتك وكرم أخلاقك العالية، لمست طيبتك من خلال تعاملك معي طوال فترة عملي معك، لكنك يا أستاذ... تجهل حقيقة الكاتب صالح النرجسية، وأنا أعرف جيدًا هذا النوع من البشر، أما صاحب الدار فهو في الأول والأخير تاجر، يريد الربح السريع بغض النظر عن المضمون، وصالح كان الدجاجة التي تبيض له الذهب، فمن الصعب أن يرفض طلباته بينما أنت لا تزال بالنسبة له: كاتب مغمور).

ثم أخذ نفسًا عميقًا، وقال وكأنه يزيح الستار عن مسرح الجريمة: اكتشفت خبثهم في أحد المعارض المقامة خارج البلاد، تحديدًا في معرض البحرين للكتاب، وما أذكره جيدًا... أنه كان هناك طلب متزايد على كتابك (لهيـــب) الذي أذكر أسمه جيدًا بسبب تلك الواقعة، الجمهور كان يتهافت عليه ويتسارع على اقتنائه، ونفدت الكمية المشحونة كلها لذلك المعرض خلال ثلاثة أيام فقط، ليلتها أبلغتُ صاحب الدار أن كتابك عليه طلب متزايد وعلينا ضرورة شحن نسخ جديد، كان بجانبه في تلك اللحظة الكاتب صالح النعمان الذي قاطع حديثي سائلًا: (ماذا عن إصداراتي... هل عليها طلب؟ وهل نفد أحدها؟).

تجمدت الكلمات في حلقي، كان سؤال صالح أشبه بجليد حاد اخترق دفء اللحظة، ولم أجد له جوابًا، ثم تحولت الأنظار كلها لصاحب الدار، سيد الموقف، الذي بدا مرتبكًا هو الآخر، لكن ما حدث بعدها لم يكن ارتباكًا؛ بل انهيار للأقنعة كلها... عندما أكمل صالح كلامه بصوت يقطر غطرسة، موجهًا طعناته للجميع وقال: (يبدو

أنكم لا تتقنون عملكم، وتقامرون على الخيول الخاسرة، أراهن على أنه قد أغراكم واشتراكم ببعض الهدايا لتلمعوا صورته، وهو ما يفسر نفاد كتبه بهذه السرعة، بينما تتجاهلون مَن يستحق الاهتمام).

ثم استدار نحو صاحب الدار، وتحولت نبرته إلى تهديد صريح يحمل في طياته الوعيد، وقال: (يا أستاذ، يبدو أنك بحاجة إلى مسوقين أكفاء يميزون الذهب من الخشب، لا أظن أنك اختبرت غضبي من قبل، كتبي وحدها تدر عليك أرباحًا تفوق أرباح جميع الكتاب عندك، مبيعاتي بلغت السبعة آلاف نسخة سنويًا تباع في المعارض فقط، إذا استمر هذا الإهمال... فالسوق مليء بدور النشر التي تعرف كيف تقدر جواهرها).

ألقى كلماته الأخيرة كقنبلة ثم بعدها تركنا ورحل، في تلك اللحظة انهارت صورته في عيني، لم أعد أراه ذاك الكاتب الودود المتواضع؛ بل رأيت له وجهًا آخر، وجهًا حقيقيًا منحوتًا من صخرة الغرور والأنانية، سقط قناع الطيبة والمروءة الذي كان يرتديه، ليكشف عن وحش مشوه بالنرجسية لا يتمنى الخير لأحد سواه، ومن حينها شعر بأنك تسحب البساط من تحت قدميه، وأعلن الحرب التي تدور رحاها في الظلام، حرب غير متكافئة أدواتها الخسة والمكر.

وسط هذا الدمار، اخترق صوت صاحب الدار الصمت، بصوت حاد كالسيف وقال: (لماذا تتحدث في هذه الأمور أمام المؤلفين؟ عليكَ أن تكون أكثر حذرًا في كلامك، فاختيار الوقت المناسب أهم من أي شيء آخر).

شعرت للحظة بمرارة، لكنني كنت واثقًا أن ما قمت به لم يكن خطأ؛

بل هو عين الصواب، فقد علمتني التجارب أن دور النشر لا تهتم بالمؤلفين بقدر ما تهتم بمبيعاتهم، وأن قيمتهم تُقاس بالأرقام لا بما يحملونه من فكر أو موهبة، كانوا يبيعون لمن يبيع، ويتركون من يتعثر دون رحمة.

الأمر ازداد غرابة بعد أيام، حين صارحني صاحب الدار بالحقيقة، وكشف لي عن سرٍّ لم أكن أتوقعه في تلك الليلة المشؤومة، أخبرني أن قرار إلغاء شحن كتابك لم يكن صدفة، إنما جاء بطلب من صالح نفسه، قالها بالحرف الواحد يا أستاذ مرزوق: (لا أريد أن أخسر الكاتب (صالح) من أجل حادثة كهذه، نجاح مرزوق قد يكون مؤقتًا، ولن أجازف بكاتبي المميز من أجل كاتبٍ مبتدئ).

من يومها كرهت (صالح)، ولم أعد أراه بتلك الطريقة السابقة، وفهمت أنه لم يكن سوى شخص متلاعب ومتلون، يبتسم أمامك وينسج خيوط الخداع من وراء ظهرك، بينما كنت حزينًا عليك، أيقنت بأن بعد هذه الحادثة أنك لن تظهر للعالم، كون هناك من يحاربك بكل ما أوتي من قوة.

24

كان الجو يسوده مزيج من المشاعر المختلطة؛ حزن على ما مضى، وغضب مكبوت بسبب خيبة الأمل القاتلة، أكمل (مرزوق) حكايته لـ (حنان) بحسرة، وصوته يتهدج وهو يسترجع تلك الأوقات القاسية، وقال:

- في خضم هذه الدوامة يا حنان، شعرت أن الأرض ضاقت بي بما رحبت، لم يعد الأمر مجرد غيرة مهنية؛ بل تحول إلى حرب خفية ثُشن ضدى فى كل زاوية من زوايا دار النشر.

اعتدلت (حنان) بجلستها، ووضعت يدها فوق يد زوجها، وقالت بصوتها الدافئ الذي طالما كان البلسم لجراحه النازفة:

- أكمل يا حبيبي... أريد أن أعرف كل شيء، كيف واجهتهم بعد ذلك؟

أخذ نفسًا عميقًا، وأكمل حديثه مستحضرًا تفاصيل اللقاء الذي كان بمثابة نقطة التحول في فهمه لتلك المواضيع:

- لم تكن تلك الواقعة التي قصها عليّ ناصر سوى حلقة في سلسلة طويلة من المكائد والمؤامرات التي حيكت لي ببراعة، بتدبير من صالح وشريكه صاحب الدار، بينما كنت -ما أزال- تحت تأثير الصدمة، أحاول استيعاب ما يدور حولي من أحداث متسارعة، رمى (ناصر) على مسامعي قصة أخرى، ليكملَ حديثه قائلًا: (يا مرزوق... استمع إليّ جيدًا، سيظلون يتربصون بك، ويقطعون عليك الطريق بالحيل والمكر كلما حاولت النهوض، ما حدث الليلة في المعرض

بعد نفاد كتبك ما هو إلا امتداد لما كان يدبر لك في الخفاء، لقد سمعت صالح بأذني يوعز إلى صاحب الدار بألا يعيد طباعة كتابك، متذرعًا بأنها تكاليف إضافية لا طائل منها، وأن الكتاب قد لا يجد من يشتريه، كان يفعل ذلك لأنه يدرك تمامًا أنه لو سنحت لك الفرصة، لسطع نجمك وخفت بريقه هو.. (صالح) لا يثق في قدراته، وأذكر جيدًا كيف كان يقف بجانبي في أحد المعارض بينما كنت أنا أشرح فكرة كتابك لأحد الزبائن، همس لي بـ: (هذا الملعون يمتلك موهبة فذة في السرد وتنوع في الأفكار، لقد قرأت له عملين سابقين، لو أتيحت له الفرصة الكاملة، لسحقنا جميعًا بتميزه).

غمرتني فرحة عارمة حينما سمعت جملته تلك، وتسلل إلى نفسي أمل واهٍ بأن (صالح) عاد إلى رشده، لكن كلماته التالية كانت كالصفعة التي أيقظتني من غفلتي، وأكدت لي أنه -لا يزال- ذلك الأناني المتعجرف الذي لا يرى سوى نفسه، عندما قال لي: (عليكَ أنت وزملاؤك الآخرون مضاعفة جهودكم في تسويق كتبي، والابتعاد تمامًا عن كتب مرزوق، إذا كنتم تريدون الاستمرار في هذا العمل.

كان تهديدًا واضحًا لي بطردنا من المؤسسة، كنت على يقين تام أنه سينفذه دون تردد، كون المالك لا يرفض له طلب، لم أجد أمامي خيارًا سوى الانصياع له، من وقتها وضميري يجلدني على فعلي ذلك، وعندما رأيتك الليلة جالسًا في هذا المكان حائرًا تحتضن الخيبة، لم أجد مفرًا من إخبارك بالحقيقة كاملة حتى أرتاح من عناء التوبيخ، نصيحتي لك من باب أنك تستحق الأفضل، وهذا يتمثل في أن تجد لك دارًا أخرى تعرف جيدًا كيف تتعامل مع المتميزين مثلك).

بعد أن انتهى (ناصر) من حديثه، شعرتُ بسذاجتي، تذكرت ذلك الأرنب الذي لا يفكر إلا في سد جوعه، بينما كان هناك من يتربص به، بدأت في ربط خيوط الأحداث السابقة التي حصلت معي على مدار السنة الماضية، تذكرت حينها إحدى الجمل التي قالها لي (صالح): (لقد قرأت كتابك، بصراحة هو مليء بالملاحظات التي وجب عليك مراجعتها، فأفكارك -لا تزال- قديمة نوعًا ما، وأسلوبك بدائي يحتاج إلى تطوير، من الأفضل أن تتوقف عن الكتابة لمدة عام أو اثنين، تراجع فيها نفسك وتطور أسلوبك، ثم تعيد حساباتك، من الممكن بعدها هذا الشيء يساعد في انتشارك).

كم كنت غبيًا لأصدق ما كان يقوله لي! كاد ذلك أن يكلفني حُلمي، استسلمت لتصديق كلماته التي تسللت إلى أعماقي كهمس الثعابين، أقنعني بأن التوقف المؤقت عن الكتابة هو السبيل للنجاح المستقبلي، فكرت جديًا في موضوع التوقف عن الكتابة لفترة بعد تلك النصيحة التي لم تكن سوى قناعًا وراءه رغبته في إقصائي عن دائرة الأضواء والشهرة المستقبلية التي بدأت أخطو إليها بعد نجاحاتي الأولى، لقد زرع الشك في تربة موهبتي، فهز ثقتي بنفسي، على الرغم من أنني كنت أسمع أصداء الإعجاب في كلمات بعض من آمنوا بي وبما أكتب، أولئك الذين رأوا في حروفي ما لم أعد أراه.

هذا النرجسي كان بارعًا في التلاعب بي نفسيًا، كفنان يعزف على أوتار نقاط ضعفي، أدركت حينها أنني إن لم أؤمن بنفسي أولًا، فلن أستطيع إقناع الآخرين بصدق ما أقدمه.

في تلك الليلة، عدت إلى المنزل محملًا بخيبة أمل ثقيلة، تجر

أذيالها خلفي، غرقت في دوامة من الأسئلة: فهل سأظل الفريسة التي تنتظر انقضاض المفترسين عليها، أم أرتدي قناعًا من الخبث والدهاء لأوازيهم؟ لم أكن يومًا ذلك الرجل الذي يجيد فنون المكر والدناءة، ولم أعتد السير في دروب هذا العالم المليء بالأفاعي، هل أعلن الهزيمة وأبحث عن طريق آخر، أم أواجههم بسلاحهم نفسه؟

لا أنسى كيف انسابت دموعي على خديّ في ظلام تلك الليلة التي لم أذق فيها طعم النوم، وأتذكر أنكِ لم تسأليني وقتها عن السبب، فقد اعتدتِ رؤية الكآبة مرسومة على وجهي، وكأنها جزء من تفاصيلي التي استنزفت روحي.

لكنكِ تعرفينني حق المعرفة، أكره الاستسلام، ولا أعرف له معنى، بعد أن لملمت شتات نفسي، وأعدت ترتيب حساباتي، وبدأت أفكر بمنطق مختلف... اتخذت قرارًا جريئًا، وأبلغت دار النشر بأن رحلتنا قد انتهت عند هذا الحد، وبدأت في البحث عن بداية جديدة، عن نافذة أمل تخرجني من غيهب الجب إلى النور، بالفعل كان قراري هو الصواب عندما وقعت عقدًا جديدًا، ليبدأ فصل آخر من الحكاية.

لم يكن دربي معبّدًا، ولا مفروشًا بالورود كما توهمت؛ بل كان محفوفًا بالعقبات التي لم تخطر لي على بال، لقد شهد المجال الأدبي تحولًا جذريًا، حيث برز على السطح مؤلفون جدد، معظمهم... وبكل صراحة مدعين للكتابة يعتمدون على شهرتهم الزائفة التي صنعوها في فضاءات التواصل الاجتماعي... أما نحن، الذين نذوب شغفًا لنقدم أدبًا حقيقيًا راقيًا، فقد بقينا قابعين في أماكننا، نحاول دون تقدم يذكر، ورغم أني بذلت قصارى جهدي، إلا أن بريق الإعلانات

الخادعة كان كفيلًا بسحب البساط من تحت أقدامنا وخطف منا الأضواء والجماهير.

صمت (مرزوق) قليلًا، وغاصت عيناه في الفراغ البعيد، يسترجع طيف ذكرى قديمة، ثم استطرد قائلًا:

- تذكرين (منصور بدر) جيدًا، أليس كذلك؟ قبل أن يمسك بالقلم، كان مجرد زائر يتجول في المعارض، يناقشني أحيانًا في تفاصيل رواياتي، كان يبدو ودودًا وطيبًا، أو هكذا خُيل إليّ، لكن الحقيقة كانت شيئًا آخر تمامًا، تعاملت معه بقلب مفتوح ونية صافية، حتى جاءني في أحد الأيام ليخبرني بأنه يفكر جديًا في خوض تجربة الكتابة، طالبًا مني العون والمشورة.

لم أتردد لحظة واحدة، ساعدته في تجهيز كتابة الأول، وعقدت معه جلسات مطولة حتى أبصر عمله النور، لا يمكنك أن تتصوري مدى سعادتي وهو يحقق نجاحًا واسعًا، شعرت بالفخر لأنه أخيرًا أمسك بأطراف خيوط التأليف.

لكن الغريب في هذه الحياة، أن أول من يتخلى عنك عند معرفته أسرار اللعبة... هم أولئك الذين مددت لهم يد العون... كان هو أول من أنكرني وهاجمني بعد ما قدمته له كله، تجاهل كل وقفة دعم، وكل مقابلة كنت فيها سندًا له، بل صوب فوهات أسلحته نحوي بلا رحمة، ما أن شعر بأنه أصبح كاتبًا لا يشق له غبار... لقد محى وجودي من تاريخه، وكأنني لم أكن ذلك السند الذي اتكأ عليه حين تعثرت خطاه في بداية مشواره، وبعد ما بذلته كله، ألا تشعرين معي أن هذا النكران أشد وطأة من الموت؟ الموت نهاية واضحة،

أما الجحود فجرح خفي لا يندمل، يظل ينبض بالألم مع كل ذكرى، لم أكن أنتظر منه الكثير، فقط همسة امتنان، كلمة حق واحدة تعيد للروح توازنها: (شكرًا أستاذ مرزوق... لقد كنت لي الضوء في بداية الطريق).

في تلك اللحظة بالذات، سقط القناع عن وجه العالم أمامي، أدركت أن الحياة حفلة تنكرية لا تنتهي، والجميع يرتدون وجوهًا مصقولة بعناية، ينقشون عليها حكايات بطولاتهم الوهمية، ووحدي أنا كنت أقف بينهم بوجهي الحقيقي، عاريًا إلا من صدقي، تجردت من الأنانية لأجلهم... فتركوني في مواجهة الريح.

قاطعته (حنان) بهدوء، لكن نظراتها كانت تحمل عتابًا رقيقًا، وقالت:

- لكنك انتصرت عليهم يا حبيبي، لقد بنيت عالمك الخاص وحققت ما ظلوا يلهثون وراءه، لماذا ما زلت تسكن هذا القاع؟

تسللت ابتسامة متعبة على شفتي (مرزوق)، ابتسامة من ذاق حلاوة الشيء ومرارته في الوقت نفسه، ثم تنهد بعمق وقال:

- لقد عرفت طعم النجاح يا حنان، لكنه ليس كما يصفونه، لقد غيرت بنفسي قواعد اللعبة التي ظنوا أنها سهلة المنال، كانوا يقولون: الوصول للقمة سهل لكن المحافظة عليه صعب جدًا، وكنت عازمًا على كسر هذه القاعدة، بعدما كنت أنشر هذا الأمر من خلال دورات الكتابة، أن الوصول للقمة ليس سهلًا؛ بل يجعلك ترتدي أقنعة لا تشبه روحك، وعليك المحافظة عليها بالمكر والخداع والطرق الملتوية، وهذا ما كنت أريد أن أحققه، فالمؤلفون الجدد أو المدعون

بدأوا في سحب البساط، والترسيخ في ذهن القراء بأنهم هم المؤلفون الحقيقون.

ومن تلك الليلة التي رجعت فيها إلى البيت، عندما رأيتكِ تتحدثين عن تجاربكِ الخاصة بعملك كونك اختصاصية نفسية، وبالتحديد طريقة السيطرة على عقول مرضاكِ من أجل معالجتهم من خلال تلك الذبذبة التي ترسلينها إلى عقولهم بطرق اللاوعي، لقد شرحتِ لي الفكرة ذات مرة وناقشتكِ فيها، كانت في البداية فكرة جميلة لإصداري الجديد، وفي الحقيقة الفكرة تغيرت في الليلة التي تلتها، عقدت العزم على أن تكون روايتي الجديدة شخصياتها تقوم بأدوارها على أرض الواقع.

علمت وقتها أن ذلك الجرح العميق الذي غرس في قلبي، لا يداويه سوى الانتقام من هؤلاء، وتلقينهم درسًا لن ينسوه، كنت أريد إيصال رسالة واضحة للعالم أن المؤلف ما هو إلا صاحب رسالة حقيقية، وليس مهرجًا يزيف الحقائق بطرقه التافهة، وأنا كاتب حقيقي تدرج من صغره على حب القراءة ومن ثم أصبح كاتبًا.

25

كانت (حنان) جالسة وتستمع إليه، وجسمها المتجمد في مكانه، كأنها لا تصدق أن هذا الرجل الذي عرفته، كان كل حرف ينطقه يرسم أمامها كابوسًا لا تستطيع الاستيقاظ منه، نظرت لعينيه فرأتهما غريبتين، فطنت أن بريقهما القديم قد انطفأ، وحلت محله قسوة لئيمة جعلتها تشعر بأنها أمام شخص غريب تمامًا.

تقدم (مرزوق) ناحية النافذة القريبة ببطء، ثم التفت إليها وعيناه تحملان يأس العالم، وقال بصوت مبحوح:

- لم أعد كما كنت أريد أن أكون يومًا، أصبحت كما أرادوا هم، لقد صنعتهم والآن هم من شكلوا هذا المسخ الذي أمامك، لقد خلعت عن كتفي ذلك الرداء الشفاف الذي كانوا يرون من خلاله طيبتي وسذاجتي، وارتديت بدلًا من قناع بملامح وحشية، قناعًا كنت أظن أنني أختبئ خلفه لأخيفهم، فلم أعي إلا وأنا قد أصبحت هو.

بدأت خُطتي باتباع أسلوبي المعتاد عندما أبدأ في كتابة كتاب جديد، بقلب منتفخ من الغل، وعقل سيطر عليه الانتقام، لقد تحولت من ذلك الإنسان المتردد إلى كائن لا يعرف سوى الاندفاع، كان الانتقام هو الشيء الوحيد الذي يشغلني، واتخذت من مبدأ ميكافيلى الشهير: (الغاية تبرر الوسيلة) دستورًا لحياتى، فصرت أقتلع الشوائب كلها من طريقي دون أن ألتفت للعواقب.

دائمًا يقولون في الكتابة ابدأ من خلال مشهد صارخ حيوي؛ حيث تجعل بطلك يتحدث بأعلى صوته، وهذا بالضبط ما فعلته عندما

جلست مع صالح بعد نهاية أحد المعارض الخليجية، وهو يشكو من تغير حاله وقلة مبيعاته، متسائلًا عن أسباب عزوف القراء عن كتبه التي لم يعتد عليها: (برأيك ما أسباب تراجع مبيعاتي؟ هل باتت الناس لا تقرأ؟).

كنت أبتسم في داخلي، ابتسامة المنتصر الذي يرى خصمه يتخبط في الظلام، أعلم أن نرجسيته قد بنت جدارًا سميكًا حول عقله، فلم يعد يرى الحقيقة؛ بل أصبح يستمع فقط لما يوافق هواه، سايرته بما يهوى، وتظاهرت بالتعاطف مع غروره المجروح، فالنرجسيون لا يريدون آراءً، إنما صدى لأصواتهم، ربت على كتفه بكلمات تشجيعية فارغة، ثم قلت له بنبرة مدروسة: (دعنا نجلس معًا حينما نعود للبلاد، لعلنا نصل إلى أصل الداء الذي بدأ يتفشى في كتبك).

لم يتردد للحظة واحدة، وأجابني بالقبول، بينما أنا كنت أحكم إغلاق الفخ الذي نصبته له، فخ أطلقت عليه اسم (ذبذبة) وهو عنوان كتابي الجديد الذي كنت أرسم تفاصيله على أرض الواقع.

وبعد ليلة واحدة من عودتنا للبلاد، وصلني صوته عبر الهاتف، محملًا بيأس لم أعهده منه، حتى حبات المطر كانت تشاركه نحيبه، وقال بصوت متقطع: (مرزوق... موعدنا غدًا في شقتي السرية بمنطقة الفروانية، في السادسة مساءً).

لم أناقشه، إنما أبديت موافقتي التي كان ينتظرها، وما فعلته كله بعد ذلك أنني أتقنت تقنيتك تلك بعد أن أجريتها عليّ وسيطرتِ على عقلي اللا واعي، وصلت لشقته الصغيرة القابعة في الدور السابع، وقلت له ما يجب أن يقال: (هل يوجد أحد يعرف هذا المكان

غيرك؟).

أجابني وهو يطلب مني الجلوس على أحد الكراسي المنتفخة: (أنت أول شخص يعرف بوجود هذا المكان، ملاذي الوحيد الذي أنطوي فيه بعيدًا عن عيون العالم المتلصصة).

كنت أعرف سر ثقته العمياء بي، تلك الثقة التي لم تكن سوى انعكاس لسطحيته، كان -لا يزال- يتلاعب بي بأسلوبه الساذج الذي يصدقه هو وحده، متوهمًا أنه يعرف سر الخطة التي جعلتني أتربع على عرش المؤلفين، كان يظن أنه ذكي، وهذه سمة أخرى من سمات النرجسية التي أصبحت أجيد قراءة معالمها، بأنهم يفوقون الآخرين عقلًا، لا أنكر أناقته الظاهرة، فقد كان يهتم بأدق التفاصيل في مظهره، معتقدًا أن هذا المظهر الخادع هو حيلة كافية ليصدق الناس وداعته المصطنعة.

وبعد نصف ساعة من حديثنا الذي كان أشبه بمونولوج طويل من جانبه، بدأت في نسج خيوطي العنكبوتية حوله، كان يقف أمامي آمنًا ومطمئنًا، ولم تكن هناك أية عقبة تحول بيني وبين ما أريد، بعد دقائق معدودة، فرضت سيطرتي الكاملة عليه باستخدام عقار: (نفس الشيطان) أو بما يسمى طبيًا: (سكوبولامين)(1) عندما دسسته في فنجان قهوته بعد أن قام مستأذنًا لدخول الحمام كونه مريض سكر من الدرجة الثانية، وبعد أن شرب قهوته أرسلت له ملفًا موسيقيًا على برنامج الـ: (واتس آب) يحتوى على شيفرة: (ذبذبة الثيتا)(2) منخفضة التردد الخاصة في تجاربك، تلك التي كنتِ تتحدثين عنها ليل نهار، كانت تستخدم في حالات التنويم

المغناطيسي، تجعل الشخص واعيًا جسميًا بينما عقله في حالة استقبال تلقائي.

وما أن سمعها حتى تحول إلى حَمَل وديع يسهل التحكم فيه، كانت تلك أول تجربة حقيقية أقوم بها، طلبت منه بهدوء أن يتوجه نحو النافذة وأن يرمي بنفسه منها، وبالفعل تقدم نحوها بلا نقاش، وكأنني أتحكم بأحد اللاعبين في لعبة الـ: (بلاي ستيشن) عن طريق جهاز التحكم اليدوي، رأيته يمد إحدى قدميه يريد بذلك تنفيذ أوامري، شعرت بخوف غريب قد ملأ جسمي، فأمسكت بكتفه بقوة، وطلبت منه التوقف حالًا والعودة إلى مكانه.

امتثل لأمري طوعًا، وعاد ليجلس في مكانه بهدوء مريب، ونظرت مباشرة في عينيه اللتين لم تعودا كما كانتا قبل قليل، انفجر صوتي في وجهه كبركان خامد: (كان بإمكاني أن أقتلك، بعد أن تقذف بجسمك من خلال هذه النافذة، لكن الموت راحة لا تستحقها وهذا لن يشفى غليلي، أريدك أن تعيش وأنت ترى خيبتك، أريدك أن تتجرع ذلك السم الذي أسقيتني إياه طوال السنين الماضية، لن أرتاح إلا بعد أن أراك واقفًا خلف القضبان).

بعد أن أنهيت جملتي، توقفت قليلًا، أردد جملة واحدة: (هل الانتقام قادر حقًا على أن يحول الإنسان إلى وحش؟) كنت أرى نفسي وحشًا يتلذذ بدماء فريسته، وها هو الآن يقف أمامي خاضعًا لي، وأتحكم فيه بأمري.

أوقفت الذبذبات التي كنت أسيطر بها عليه، لأرى إن كان سيتذكر شيئًا مما حدث، وبالفعل... عاد إلى رشده، ونظر حوله وكأنه يستيقظ

من حلم قصير، تأكدت من ذلك حين أكمل حديثه من حيث ما توقف، وكأن شيئًا لم يكن، لقد أيقنت أنه عاد إلى وعيه، وأن أول علامة على رجوعه شخصيته النرجسية التي طغت على كلامه من جديد.

26

النجاح والشهرة إدمان من نوع آخر، نوع فريد جعلني أهيم في دوامة من التفكير، أبحث عن سبيل للحفاظ على هذا المجد، وفي خضم هذا السعي المحموم، كانت أولى خطواتي هي إزاحة كل من يقف في طريقي، مستخدمًا (صالح) كأداة طائعة، دمية أحركها كيفما أشاء، لقد كان خاضعًا لتجاربي وأسيرًا لتلك الذبذبة التي لم تخذلني قَط.

عقدت العزم على أن أحول رواية ذبذبة من مجرد فكرة إلى واقع ملموس، فصول تنسج خيوطها من لحم ودم، بدأت الخُطة تنكشف قبل أسبوع من بداية معرض الكويت الدولي للكتاب لهذا العام... أوهمت (صالح) بأن عليه تأسيس دار نشر جديدة، وأمرته بالتواصل مع ثلاثة من المؤلفين، ضحايا مثاليين لقضية (سفاح الكتب) كما أُطلق عليها لاحقًا.

وجرى التواصل معهم عبر هواتف محمولة لبعض العمالة الآسيوية في الشارع، واستدرجهم صالح إلى شقته في منطقة الفروانية، مقر الدار الوهمية، للتفاوض معهم على عقود زائفة واعدًا إياهم بأرقام فلكية لا يحلمون بها، شرط أن لا يخبروا أحدًا بهذا الخصوص.

وهناك... في ذلك المكان، كان يقدم لهم قهوته المسمومة بالسيانيد، ويقضي عليهم في لحظات، ثم تبدأ المرحلة الأكثر بشاعة المتمثلة في تقطيع ألسنتهم وبتر أياديهم، وقبل أن يدس أجسادهم المشوهة في حقائب سفر رخيصة، معنونة بجملة كان لها أثرًا كبيرًا في نفسي لأنهم كانوا يستحقونها: (غير صالح للنشر).

كنت على يقين تام بأن الشبهات لن تطالني، بل ولن تصل إلى (صالح) نفسه، وطوال تلك الفترة كنت أشتري الوقت، وفي الوقت ذاته، حبكت الخدعة المتقنة؛ فبعد أن أحكمت سيطرتي الكاملة على إرادة (صالح عبدالرحمن)، وبعد التمثيل بثلاث بجثث لثلاث ضحايا آخرين، أوهمت الجميع بأنه قد اختطفني، وبهذا تكتمل فصول المسرحية، وأبقى أنا بعيدًا عن أية مساءلة، بينما يقدم (صالح) على طبق من ذهب ككبش فداء للعدالة.

وبالطبع... حين يستعيد وعيه مؤقتًا، سينكر التهم كلها الموجهة إليه، فذاكرته ستكون صفحة بيضاء، لكنني سأعود لأسيطر عليه من جديد، وأغرقه في ذلك الوعي المصطنع الذي خلقته له، ليعترف بجرائمه كلها، ويعيش العذاب الذي هيئته له في غرفة دافئةً وسط جحيمه الجديد.

هنا، سترى الشرطة ما أردت لهم أن يروه بالضبط، أنه معتوه يهذي، أو مريض نفسي ينهار تحت وطأة أوهامه، لقد أردت أن ألقي بهم في بحر من الحيرة، فيتأرجحون معه بين اعترافه وإنكاره، حتى يغرقوا في دائرة الشك التي حبكتها حولهم.

تمدد (مرزوق) على كرسيه، وارتسمت على محياه ابتسامة نصر جلية، نظرت له (حنان) بعينين تملؤها الحيرة، وهمست له متسائلة:

- أيعني هذا أن محاولة قتلي تلك الليلة... كانت كلها من تدبيرك؟

اتسعت ابتسامة ساخرة على شفتيه وهو يجيبها:

- ومن غيري كان ليفعل؟ أنا مَن دبر كل شيء، ارتديت قناع من

حاول قتلك لأبعد الشبهات عن نفسي بعد أن نفذت خطتي، لم يكن هناك أي شخص آخر في منزلنا تلك الليلة، وبطبيعة الحال كان خوفك وارتباكك هو ما جعل المشهد يبدو حقيقيًا أمام الشرطة.

وضعت (حنان) يدها على رأسها، وكأنها تحاول استيعاب هول الصدمة، وقالت بصوت خافت يملأه الذهول:

- لم أتوقع ولو للحظة أنك تملك هذا الدهاء كله، كيف استطعت أن تدخلني في لعبتك الحقيرة بهذه الطريقة؟ وكيف تجرؤ الآن على الاعتراف بكل شيء أمامي بهذه الثقة، وكأنك موقن من أنني سأصفق لك؟

أجابها ونشوة الانتصار تكسو ملامحه، كقائد أحكم للتو سيطرته على آخر قلاعه:

- لا تنسي يا حنان، أنكِ قطعتِ وعدًا بأن يبقى هذا السر حبيسًا بيننا، لن أجد شخصًا أفضل منك لأشاركه متعة هذا الإنجاز.

كانت كلماته كالوقود الذي أشعل نار الغضب في صدرها؛ نهضت واقفة ووجهها يحتقن من الغيظ، نظرت إليه نظرة حارقة كأنها تحاول اختراق قناعه البارد بحثًا عن أي ضمير، وقالت بصوت يرتجف قهرًا:

- أي ضمير ذلك الذي تحمله بداخلك! أين ذهبت تلك الطيبة التي كنت تتصنعها ببراءة! كنت مغيبة عن الحقيقة، أراك ملاكًا نزل من السماء، ولكن بعد انقشاع الضباب عن عيني، لم أعد أرى أمامي سوى وحش كاسر لا يعرف للرحمة سبيلًا، أتظن حقًا أنني سأفي بوعدي

لكَ بعد كل هذا الخداع؟ كيف لي أن آمنك وأعيش معك تحت سقف واحد، وأنا أعلم أنك قد تغرس أنيابك في جسمي في أية لحظة؟ لا... لن أتركك تعيث في الأرض فسادًا بعد اليوم.

قاطعها ببرود قاطع كالسيف، وكأنه لم يسمع حرفًا من توسلاتها الغاضبة:

- أنت آخر ما تبقى لي، وأتمنى أن تبقى بتلك الصورة الجميلة بذهني لا أريد أن أقحمكِ في دائرة معقدة.

لم تكن إجابته إلا استفزازًا جديدًا أشعل ما تبقى من صبرها، صرخت بوجهه بكل ما أُوتيت من قوة:

- وهل تظن أنني سأبقى مكتوفة الأيدي وأصمت على جرائمكَ تلك؟

تجاهل صرختها تمامًا، وألقى نظرة واثقة على هاتفه الذي كان في يده، ثم قال بنبرة هادئة تخفي وراءها تهديدًا مبطنًا:

- يبدو أنني مضطر الآن لكتابة نهاية مختلفة لهذه القصة... بعد تهديدكِ الأخير هذا.

جحظت عيناها وهي تحدق فيه، وقالت بصوت التحدي الممزوج باليأس:

- إذن تريد قتلي الآن لتكتمل سلسلة جرائمك؟ ها هو جسمي أمامك، فافعل به ما تريد، لقد مت في اللحظة التي اكتشفت فيها حقيقتك البشعة، لم يعد أمامي سوى خيارين، إما أن تقتلني أو أُبلغ عنك... أنت بالنسبة لي ميت بالفعل، واحدٌ من أولئك الأشخاص

الستة الذين قتلتهم دون أن يرف لك جفن.

ابتسم باستهزاء وقال بنبرة لا تخلو من الاستخفاف:

- لا... مَن قال لكِ إنهم ستة؟ بل خمسة فقط، قتلتهم بيد (صالح)، أما الضحية السادسة أنتِ من تولت أمرها وقتلتِها بدم بارد، هل تظنين أنني لم أحسب حسابًا لردة فعلكِ هذه؟ كل شيء قمت به كان مدروسًا بدقة، كنتُ أريد أن أحتفل بنصري معك، لكنك وبعد ما فعلوه بي كله، تتعاطفين معهم وتبكين على جثثهم.

عند هذه الكلمات، ارتسمت ملامح الهلع الصافي على وجه (حنان)، وقالت بصوت مختنق:

- ماذا تقصد؟ أتعني أنني أنا مَن قمت بقتل الضحية السادسة؟ مستحيل كيف حدث ذلك؟ ما الذي فعلتَه يا مجنون؟

قبل أن تكمل جملتها، قطع سيل كلماتها دوى صوت تنبيه حاد من هاتفها معلنًا وصول رسالة جديدة، ثم قال لها (مرزوق):

- انظري إلى الرسالة التي أرسلتها لكِ للتو، وشاهدي المقطع بتركيز، عندها ستعرفين ما تبقى من الحبكة المتقنة التي نسجتها، ولا تنسي أبدًا أنني كاتب، وأعرف جيدًا كيف أتحكم في شخصيات روايتي.

بيدين مرتجفتين مدتها (حنان) إلى هاتفها، وفتحت الرسالة التي بعثها (مرزوق) لها، شاهدت مقطعًا لم تتوقع رؤيته قَط حتى في أسوأ أحلامها، وبعد انتهائه نظرت إليه وهي تتنفس بصعوبة، وقلبها كاد أن يقفز من صدرها، وقالت بصوت متقطع:

- لا أتذكر أنني قمت بذلك... هل هذا المقطع الملفق هو دليلك الذي تريد أن تدينني به؟ ثم من تلك المرأة التي كانت في بيتي؟

لم تزل الابتسامة الخبيثة تعلو وجه (مرزوق) وهو يجيبها ببطء، مستمتعًا بلحظة انهيارها:

- (ثناء راشد) الكاتبة الكلاسيكية... أنت مَن قمتِ بقتلها، وهذا المقطع يوضح تمامًا كيف قدمتِ لها القهوة المسمومة، وبعدها... مثّلتِ بجثة تلك المسكينة، بعد أن سيطرتُ على وعيكِ أنتِ الأخرى، وكما هو واضح أنكِ أنتِ مَن قمتِ بقتلها وهذا ما في الأمر كله، فلماذا تنكرين الآن؟ أنتِ بكامل شحمكِ ولحمكِ مَن كنتِ تتجولين في المقطع.

صرخت حنان بغضب ممزوج بالدموع، وقد بلغ منها اليأس مبلغه وقالت:

- أنتَ شيطان متجسد فى صورة بشرا كيف فعلت ذلك بى؟ أنا لا أتذكر أي شيء عن هذا الموقف... (ثناء راشد) لم أقابلها طوال حياتي.

اقترب (مرزوق) من وجهها الشاحب، وهمس بصوت كفحيح الأفاعي وقال:

- يا عزيزتي... كلانا قاتل، لكن بصور مختلفة، ما في الأمر كله أنني سيطرت عليك بتقنيتكِ نفسها التي علمتني إياها، تقنية (الذبذبة)، أمرتكِ أن تتصلي بـ(ثناء راشد) وأن تدعيها إلى منزلنا، مستخدمة الأسلوب نفسه الذي كان يتواصل به (صالح) مع ضحاياه، وطبقًا

الحقير (صالح) هو مَن قام بالاتصال بتلك الطريقة الخبيثة مع تغيير طفيف بصوته الذي حوله إلى صوت امرأة، فقد صدقتكِ ولبّت الدعوة، وهناك أنتِ قمتِ بقتلها بالسم، ثم مثّلتِ بجثتها، بعد ذلك اتصلت بـ (صالح) وأمرته بإحضار الحقيبة الشهيرة التي باتت كابوس رجال الشرطة، وفي النهاية أكمل صالح ما تبقى من الخطة، وقذف بتلك الحقيبة في الصحراء مع حقيبتين إضافيتين تحملان أجساد اثنين من المؤلفين المدعين.

كانت الدموع تنهال على خدي (حنان) كشلال منهمر، وقالت بصوت مبحوح من البكاء:

- سأبلغ الشرطة... سأخبرهم أنك أنت من استغليت تلك التقنية لصالحك، ودفعتني لارتكاب تلك الجريمة وأنا لم أكن في كامل وعي، يا الهي! لم أكن أعلم أنني أصبحت دمية لنرجسي لا يستمع لصوت العقل.

انفجر (مرزوق) ضاحكًا بصوت عالٍ أجش، ثم أجاب ببرود:

- تقنيتكَ تلك -لا تزال- في طور التجارب، والشرطة لن تأخذ بها كدليل رسمي، بالمقابل... هناك برهان واضح على أفعالك كلها، صدقيني... لو أبلغت عني، لن أقف بجانبك، بل سأحيك لكِ قصة مدبرة بإحكام، بحجة أنكِ تريدين حماية نفسك، دعينا ننهي الحكاية عند هذا الحد، فالنهاية بالنسبة لي مرضية وصادمة.

جلست حنان على الأرض، جسمًا منهارًا تهزه نوبات بكاء عنيفة، ورددت بصوت مخنوق بالدموع:

- أنت شيطان... شيطان، كيف لي أن أعيش معك وأنا أحمل هذه الصورة في ذاكرتي؟ كيف صدقتك طوال الوقت؟ لقد سقيتني السم نفسه الذي تجرعوه ضحاياك، لم أكن أختلف عنهم، كنت مجرد ضحية مؤجلة تنتظر دورها فى قائمة انتقامك.

جلس (مرزوق) بجانبها، لم يكن يواسيها؛ إنما ليلقي بكلماته الأخيرة كحُكم نهائي، وقال بصوت حازم لا يعرف الشفقة:

- لا تزالين أنتِ الوحيدة التي أثق بها، الذي فعلته كله كنت أريد منه حماية نفسي فقط، ولو كنت لا أثق بكِ، لما أبلغتكِ بما جرى كله، توقعتُ أن تفرحي لفرحي، وأن تحتفلي معي بإزاحة مَن لا يستحقون الحياة كلهم عن طريقنا... إنهم مجرد ديدان تتغذى على طيبتنا... دعي الأمور تسير على هذه الوتيرة، وعليكِ أن تعيشي أجواء الفرح بعد هذا الانتصار، زوجكِ -لا يزال- يُحلِّق عاليًا، وعليكِ التحليق معه.

ثم بعد ذلك... أخرج ورقة وقلمًا، وكتب بداخلها:

(هذه النهاية الحقيقية لرواية ذبذبة، سأبلغكم لو أن (حنان) قد أبلغت الشرطة عني).

محبكم مرزوق محمد

27

كان يلتهم شطيرته بكل حب، غارقًا بتلك الغرفة الصغيرة، وأمامه أوراق القضية مبعثرة، توقف عن المضغ فجأة، وعيناه شاردتان كأنهما تسافران إلى مكان بعيد، عندما تأكد أن أحدهم قد فتح الباب للتو ليقول له مباشرة:

- عادتك اللعينة مع هذه الشطيرة لن تتغير أبدًا.

قالها الضابط (سلمان) لزميله (عبدالله) بتأفف.

أجابه (عبدالله) والطعام يملأ فمه:

- أنت الوحيد الذي يعلم أن هذه الشطيرة هي ما تبقى لي كله من هذا العالم، لا تجادلني بها كثيرًا، فلن أغير هذه العادة ما حييت.

لم يهتم (سلمان) لإجابته، واستأنف حديثه بجدية:

- لقد تم تحويل أوراق المتهم (صالح عبدالرحمن النعمان) إلى النيابة.

قاطعه (عبدالله) بحقة وقال:

- صدقني... لن يفلت من هذه القضية، الدلائل كلها تحاصره، وقد اعترف وهو بكامل قواه العقلية بما اقترفه كله من جرائم.

شرد (سلمان) بذهنه قليلًا، وقال بصوت يملأه الشك:

- لا يزال الشك يرادوني، بعد اعترافات (صالح) والتي أعتبرها غريبة بالنسبة لي، أظن أن هناك بعض الأشياء التي لم نجد لها

إجابات واضحة، خاصة حالة صالح التي لم تكن على ما يرام، والدوافع التي جعلته يرتكب تلك الجرائم، هل الإنسان يحمل بداخله هذا القبح كله كي يقتل الناس لمجرد المنافسة؟

وضع (عبدالله) ما تبقى من شطيرته على الطاولة، ثم مسح فمه بظهر يده وقال بنبرة فلسفية عميقة:

- القتلة لا يهتمون كثيرًا بدوافعهم؛ بل بأهدافهم الشخصية التي تَعمى بصائرهم، إنهم يحملون في قلوبهم أنانية كبيرة، وصالح من هذا النوع تمامًا، لا تفكر كثيرًا، ركز على ما هو قادم، وربما لو تذوقت شطيرتي اللذيذة، لعرفت أن هناك أشياء جميلة في هذا العالم تستحق التركيز عليها.

هز (سلمان) رأسه كأنه غير متفق على إجابة زميله، وقال:

- أتمنى لو يمر يوم كامل أراك فيه بكامل جديتك، أعتقد لو توقفت يومًا واحدًا عن أكل هذه الشطيرة ستعود إلى رشدك.

في هذه الأثناء، فُتح الباب لتدخل (حنان)، وجهها مكفهر وعيناها متورمتان، وهندامها غير منظم، وجهت كلامها لكلٍّ من الضابطين وقالت:

- عليكما الاستماع لي جيدًا، هناك أجزاء من قضية قتل المؤلفين لم تحل بعد، وهناك من كان لا يستحق الحياة.

صمت الاثنان ونظرا لبعضهما البعض، غير مدركين تمامًا لما يسمعونه من (حنان)، ثم رن هاتف الضابط (عبدالله) ليجيب عليه بلهفة:

- ماذا تقول؟ أين وجدتم تلك الجثة؟ أرسل لي موقعكم على هاتفي فورًا، سنكون عندكم خلال دقائق.

أغلق (عبدالله) الهاتف ونظر لوجه زميله (سلمان) بعينين تلمعان بلمعان غريب، وقال بسخرية سوداء:

- يبدو أن هواية ترك الجثث في الأماكن العامة أصبحت أكثر انتشارًا من لعبة البادل.

أجابه (سلمان) وهو يحاول استيعاب ما سمعه للتو:

- جثة جديدة؟ من غير المعقول!

كانت (حنان) واقفة تستمع إليهما، وهي شاردة الذهن، وبقع الدم الصغيرة -لا تزال- عالقة على أطراف ملابسها، كشاهد صامت، استأذنها (عبدالله) وقال بلباقة مصطنعة:

- سيدتي... علينا تأجيل شكواكِ قليلًا، لدينا معاينة لجثة جديدة.

وبعدها، تركاها ورحلا دون كلمة أخرى.

وقفت (حنان) وحدها، تردد في داخلها بصوت خافت:

- لا داعي لذلك الاستعجال كله... كنتما فقط محتاجين لقليل من الصبر.

***

في مكان آخر...

على شاطئ الشويخ الهادئ، وقف كل من (عبدالله) و(سلمان)

أمام مشهد مروع، كانت الجثة المحشورة في الحقيبة تعود للكاتب الشهير (مرزوق محمد)، لكن هذه المرة كانت هناك سكين حادة مغروسة في عمق في قلبه، وبجانبه وُجدت مذكرة متوسطة الحجم، التقطها (سلمان) وبدأ يتصفح ما كُتب بداخلها بخط مضطرب:

(في بعض الأحيان، لا يكتب المؤلف نهايته بنفسه؛ بل تنتهي به الرواية في واقعٍ أشد ألمًا، لست قاتلة متمرسة، ولا أعرف كيف أحيك المكائد، ما في الأمر كله أنني قتلتُ شخصًا لو عاش أيامًا أخرى لأجهز على كل من وقف في طريقه، شخصًا يستحق الموت بجدارة، أحيانًا... لا يتخلص القاتل من ضحاياه بيديه، إنما بأفعاله... تأكد أن القلم هو أداة القتل، تمثل حبيبي المحشور في الحقيبة، كان بطلًا -على الأقل في نظري- فذاقت حواسه الخيبة، وتحول إلى شخصٍ آخر لا أعرفه، أصبح حادًا كالشفرة يجرح كل مَن يلمسه، وحوّلني لسكين يقتل من خلالها كل مَن أذاقه مرارة الخذلان، كنتُ خنجره الذي يأمنه... وقتله، ما في الأمر كله أنني سيطرت على وعيه بتلك الذبذبة التي استطاع بها قتل ضحاياه).

محبتكم (حنان سالم).

نظر الاثنان إلى بعضهما البعض، يبتلعان الصدمة بصعوبة، وتذكر كل منهما وجه (حنان) الشاحب عندما تركاها في مخفر الشرطة.

تفّت

الخاتمة

لا تنخدع بمَن ترى؛ نحن لسنا سوى كائنات صنعتها التجارب... يتردد فينا صدى الخوف الذي يسكن أرواحنا... أرهقتنا مرارة الخيبة... بتنا نسخًا باهتة نقشها الواقع بقسوة على أشكالنا... الوجوه كلها من حولنا أقنعة زائفة، تلعب دور الضحية على خشبة مسرح الحياة... أنتَ وحدكَ من جئت لتشاهد العرض... تتجرع كأس الهزيمة الممزوج باليأس حتى الثمالة... دون أن يشاركك أحد.

قبل أن يُسدل الستار... تذكر وصيتي الأخيرة:

لا تشرب القهوة وهي ساخنة... ففي حرارتها قد يختبئ سُم حقد بارد دسسه لكَ أحدهم في غفلتك.

---

(1) سكوبولامين أو نفس الشيطان: هو مركّب دوائي يستخدم طبيًا لعلاج الغثيان ودوار الحركة، كما يستخدم في الجرائم لتحويل الناس إلى أشخاص فاقدي الوعي والإرادة (الزومبي المطيع) لا يتذكرون ما يحدث لهم، ولا يستطيعون مقاومة الأوامر.

(2) ذبذبة الثيتا منخفضة التردد: هي من الذبذبات التي تؤثر على عقل الإنسان وموجاته الدماغية وتسمى:

(EEG wanes) ترددها (Hz6.66)، تستخدم في جلسات التنويم المغناطيسي العميق، تجعل الشخص واعيًا جسميًا لكن عقله في حالة (استقبال تلقائي) وفي بعض التجارب الروسية، تم استخدام هذا التردد لجعل الأسرى ينفصلون عن الألم أو الواقع.